مجلة جامعة صعدة
المجلد (2) – العدد (1) – (يوليو - ديسمبر ٢٠٢٣م)
ص: ١٠٠ - ١٥٦
ISSN: 2959-0396

الشباب وظاهرة الاستلاب الثقافي
(رؤية قرآنية لمعالجة التحديات الثقافية)

فهد عبد القادر عبد الله الهتار
أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك – كلية الآداب، جامعة إب

الملخص:

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الاستلاب الثقافي، والكشف عن أسبابه، وأبرز مظاهره وآثاره على الشباب العربي بوجه عام، والشباب اليمني بوجه خاص، في الفئة العمرية ما بين (١٥) إلى (٢٥) سنة، واستلهام الهدي القرآني في تقديم رؤية قرآنية لمواجهة التحديات الثقافية، ولتحقيق هذا الهدف استُخدم المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج الاستنباطي عند الحاجة إليه، وعالجت الدراسة هذا الموضوع في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة؛ تناول المبحث الأول التعريف بالمصطلحات والمفاهيم، في حين استعرض المبحث الثاني مظاهر الاستلاب الثقافي وأسبابه وآثاره، أما المبحث الثالث فقدم رؤية قرآنية لمواجهة التحديات الثقافية المعاصرة.

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها: تربع الهزيمة النفسية، وتسيد الثقافة الاستهلاكية، وانتشار التفاهة على رأس مظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب، ووقوف مجموعة من العوامل والأسباب الداخلية والخارجية وراء ذلك، منها: الظلم الاجتماعي، والانحراف الفكري، والعولمة، والتفوق الحضاري للغرب، والتغريب، الأمر الذي خلف العديد من الآثار والتداعيات، كفقدان الشعور بالهوية، وانتشار الأمراض النفسية والانتحار، واختلال موازين القيم المجتمعية.

وفي ضوء هذه النتائج قدمت الدراسة رؤية قرآنية لمواجهة التحديات الثقافية، تتمحور في التربية القرآنية، وتعزيز الشعور بالعزة والكرامة، وإعادة الاعتبار لمكانة العلم والتعليم، كما قدمت بعض التوصيات والمقترحات للحد من هذه الظواهر وانعكاساتها وتأثيراتها السلبية على المجتمع.

الكلمات المفتاحيّة: الشباب، الاستلاب الثقافي، رؤية قرآنية، التحديات الثقافية، العولمة.

SA'ADAH UNIVERSITY JOURNAL
Volume (2) - Issue (1) – (Jul - Dec 2023)
P: 100 – 156
ISSN: 2959-0396

Youth and the Phenomenon of Cultural Alienation (Qur'anic Vision to address Cultural Challenges)

Fahd Abdul Qadir Abdullah Al-Hitar
Associate Professor of Islamic Culture, Faculty of Arts - Ibb University

Abstract:

The study aimed at clarifying the concept of cultural alienation, and revealing its causes, its most prominent manifestations, and its effects on Arab youth in general, and Yemeni youth in particular, in the age group between (15) to (25) years, as well as drawing inspiration from the Qur'anic guidance in presenting a Qur'anic vision to face challenges. In order to achieve the previous objectives, the researcher used the descriptive and analytical approach in studying the phenomenon of cultural alienation, in addition to using the deductive approach due to the need for it in presenting a Qur'anic vision to address cultural challenges, given that the Holy Qur'an is a practical applied approach to various fields of life in general, and the cultural field in particular (the subject of the study). This study has dealt with this topic in an introduction, a preface, three sections and a conclusion. In the introduction: the problem of the study, its objectives, importance, methodology, and previous studies. In the preface: the answer to the question: Why youth in particular? The study, while the second topic dealt with: manifestations of cultural alienation, its causes and effects, and as for the third topic, it presented a Qur'anic vision to confront cultural challenges. Arab youth in general and Yemenis in particular, and a group of internal and external factors and reasons behind this, including: social injustice, intellectual deviation, globalization, the civilizational superiority of the West, and alienation, which left many effects and repercussions, such as loss of a sense of identity, the spread of mental illness and suicide, and mental disorder. Scales of societal values.

In the light of these results, the study presented a Qur'anic vision to confront cultural challenges, centered on Qur'anic education, enhancing a sense of pride and dignity, and reconsidering the status of science and education. It also presented some recommendations and proposals to reduce these phenomena and their negative effects on society.

Keywords: youth, cultural alienation, Qur'anic vision, cultural challenges, globalization.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وصلى الله وسلّم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، القائل: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُم شِبْرًا بشِبْرٍ وذِرَاعًا بذِرَاعٍ حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُمُوهُم» (الطبراني، ١٩٨٣م، ج ٦، ص ١٨٦، حديث رقم: ٥٩٤٣).

وبعد: فإن العالم اليوم يعيش في فضاء مفتوح على الثقافات المختلفة، والأفكار المتعددة، والعقائد والمذاهب المتباينة، بفعل ثورة المعلومات وتقنية الاتصالات التي اقتحمت تفاصيل حياتنا، من خلال الأجهزة والتقنيات المتنوعة، والتي حطمت القيود، وتجاوزت الحدود، فلم يعد بإمكان إنسان الحاضر أن يمتلك القدرة على منع الثقافات والأفكار من انتشارها الواسع، أو وقف سريانها السريع كسريان النار في الهشيم، حتى اكتوت الخصوصيات الثقافية والاجتماعية بنارها، والتفحت الهويات بلهبها، فتشكّل بذلك غزو جديد ميدانه العقول والقلوب، لا تُسمع فيه صليل السيوف، ولا هدير المدافع، ولا أزير الطائرات.. بل هو غزو ناعم، يتوارى خلف الكلمة، والفكرة، والصورة... إنه الغزو الثقافي الغربي، الذي يتهددنا باستلاب ثقافتنا، وانتزاع هويتنا، لما يتوافر للغرب من إمكانيات مادية كبيرة، وتقنيات حديثة عالية؛ نتيجة لتفوقه العلمي والحضاري، وما نتج عنه من تحديات ثقافية خطيرة!

ومما لا شكّ فيه أن الشباب، هم أول المستهدفين بالغزو الثقافي الذي يسلب من شباب الإسلام ثقافته الإسلامية، وحملهم على الاستسلام والاحتواء، وقسرهم على التحرك داخل دائرة الفكر الوافد الغريب عن دينهم وقيمهم (صوفي، ٢٠٠٦م، ص ٧).

ولا إخالنا نبالغ إن قلنا إن موضوع الشباب وما يواجهه من مشكلات فكرية وتحديات ثقافية، يعد من أخطر الموضوعات التي يجب أن تستنفر من أجلها الجهود، وتصرف في سبيلها الميزانيات، وتعقد لها الندوات والمؤتمرات، وتستفز في مرامها الأقلام والكتابات؛ لتجود بالبحوث العلمية الرصينة، والدراسات المعمقة الجادة، والحلول الجذرية الناجعة في مواجهة الحرب الثقافية (الناعمة)، والتي هي أشد خطراً من الحرب العسكرية، فالحرب الناعمة تستهدف الهوية الثقافية والفكرية والقيم والمبادئ والقناعات بأساليب كثيرة متنوعة، فتفسد النفوس، وتقضي على القيم، وتدمر الأخلاق، وتضرب الناس في إيمانهم.. (أبو عواضة، ٢٠١٨م، ص ٤-٥).

ولأهمية موضوع التحديات الثقافية المعاصرة، وخطورتها على المجتمعات المسلمة، فقد بادرت جامعة صعدة بتبني تشجيع المبدعين، والباحثين – من خلال (جائزة جامعة صعدة للإبداع والبحث العلمي)، للإسهام الجاد في مواجهة تلك التحديات، والخروج بأبحاث رصينة تخلق الوعي الفردي والمجتمعي، والتحصين الثقافي والفكري.

وفي هذا الإطار كان هذا البحث – المتواضع – الذي يعالج قضية من أخطر القضايا الثقافية، ألا وهي (الاستلاب الثقافي) ومظاهره وأسبابه وآثاره على الشباب، وكيفية التغلب عليه من منظور قرآني، وعسى الله أن يكون مقبولا نافعاً، وعلى الله قصد السبيل.

مشكلة البحث:

يواجه شبابنا اليوم تحديات كثيرة، من أخطرها التحديات الثقافية، التي تنامى خطرها مع تنامي دور التكنولوجيا، وتطور تقنيات الاتصال، التي حطمت الأسوار، وتجاوزت الحدود، باقتحام ثقافات وعادات وسلوكيات في أدق حياة الناس عامة، والشباب منهم خاصة، ولعل من أبرز التحديات الثقافية في واقع الشباب: الاستلاب الثقافي، وشيوع أنماط من الحياة تحاكي النموذج الغربي في الثقافة والسلوك. وتحت تأثير الانبهار والتقليد، انحسرت معها بعض قيم الإسلام الأصيلة، وأخلاقياته الحميدة، لذا جاء هذا البحث لدراسة ظاهرة الاستلاب الثقافي لدى الشباب، وتقديم رؤية قرآنية لمعالجة هذه الظاهرة.

تساؤلات البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما مفهوم الاستلاب الثقافي؟

٢- ما سبب تخصيص الشباب في دراسة هذه الظاهرة؟

٣- ما هي أهم أسباب ومظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب؟

٤- ما الآثار والتداعيات لظاهرة الاستلاب الثقافي على الشباب؟

٥- كيف عالج القرآن الكريم هذه الظاهرة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعريف بمفهوم الاستلاب الثقافي.

٢- الكشف عن أهم أسباب الاستلاب الثقافي لدى الشباب.

٣- الوقوف على مظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب.

٤- إبراز أهم آثار وتداعيات الاستلاب الثقافي على الشباب.

٥- تقديم رؤية قرآنية لمعالجة الاستلاب الثقافي لدى الشباب.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- **أهمية البحث:** تبدو أهمية البحث من جهتين:

الأولى: موضوع الشباب، والذي يُعد «الطور الحاسم في حياة الإنسان، وهو الدور الذي تُبنى فيه كل العقائد والمُثُل، وتتشكل فيه النفس الإنسانية والعقل البشري، بحيث تكون متأهبة لأداء دورها في حمل أمانة الحياة ومسؤولية المجتمع» (الجندي، ١٩٨١م، ص ١٣٣).

الثانية: قضية التحديات الثقافية المعاصرة، التي تواجه الشباب وما تمثله من خطورة في سلب هويته، وفقدان انتمائه، وتغريب سلوكه بقيم ثقافية غربية منحرفة، وحاجته الملحة إلى حصانة فكرية، ورؤية قرآنية لمعالجة تلك التحديات الثقافية.

- **أسباب اختيار البحث:** تتمثل دوافع بحث هذا الموضوع في الآتي:

١- أضحى الاستلاب الثقافي ظاهرة من الظواهر السلبية في عالمنا المعاصر، توجب دراسات معمقة، وأبحاثاً جادة للتعامل مع هذه الظاهرة.

٢- إشباع رغبة الباحث في دراسة هذه الظاهرة، من منطلق إيمانه بأهمية موضوع البحث.

٣- الإسهام في رفد المكتبة الإسلامية المعاصرة، بالأبحاث العلمية النافعة.

منهج البحث: اقتضت طبيعة موضوع البحث الأخذ بالمنهج الوصفي التحليلي لتتبع أسباب الاستلاب الثقافي، وتفسير وتحليل مظاهره وآثاره، كما اقتضى بحث الموضوع استخدام المنهج الاستنباطي في معالجة تحديات الاستلاب الثقافي في ضوء مبادئ القرآن، وقيم الإسلام.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الكتابات والدراسات التي تناولت مفهوم الاستلاب أو جوانب من صوره وأشكاله ومظاهره، إما بصورة عامة أو مخصصة، وقد تم الإفادة من الكثير منها في هذه الدراسة، ويمكننا هنا أن نشير إلى أهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع، وذلك على النحو التالي:

١- **دراسة محمد (٢٠١٩م)**، الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي: رؤية تربوية، والتي هدفت إلى دراسة مفهوم الاستلاب الفكري والثقافي وأهم عوامله، ومن ثم تقديم رؤية تربوية لمواجهته، وقد توصلت إلى أن عوامل الاستلاب تتمثل في ثلاثة أمور: العولمة، وتفوق الغرب، والتهميش الاجتماعي، ثم قدمت الدراسة رؤية تربوية مقترحة لمواجهة الاستلاب الفكري والثقافي تضمنت: النهوض بالتعليم، وتعزيز الهوية، وتعظيم قيمة العمل والإنتاج، ودمج الفئات المهمشة، والتربية الإعلامية. وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في: مفهوم الاستلاب، وبعض عوامله، لكنها عالجت موضوع الاستلاب الفكري والثقافي بصفة عامة في إطار رؤية تربوية، بينما تعالج الدراسة

الحالية موضوع الاستلاب الثقافي من زاوية خاصة بالشباب، في إطار رؤية قرآنية، محاولة استقصاء أسباب هذه الظاهرة، وبيان آثارها على الشباب خاصة، وعلى المجتمع الإسلامي عامة.

٢- **دراسة عبد الجبار (٢٠١٨م)**، الاستلاب: هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس، وتناول الكتاب مصطلح (الاستلاب) من زاوية تاريخية من جهة، ومفهوم الاستلاب بين مجموعة من مفكري الغرب من جهة أخرى، وقد خلص الكتاب إلى تبلور مفهوم الاستلاب بروح احتجاج ونقد للإنسان في إطار الدين - اللاهوت - دفاعاً عن الإيمان، ثم خرج من منهما (الدين واللاهوت)، لا لشيء إلا ليعود مرة أخرى بروح احتجاج ونقد للدين واللاهوت دفاعا عن الجوهر الإنساني المستلب.

٣- **دراسة سفيان (٢٠١٨م)**، التنشئة الاجتماعية وتمظهرات الاستلاب الثقافي في المجتمع الجزائري، حيث سعت الدراسة إلى إبراز الخصائص الأساسية للمجتمع الجزائري من خلال تقسيمه إلى ثلاث حقب: مجتمع تقليدي، ومجتمع جديد، ومجتمع حديث، وبيان خصائص كل حقبة من هذه الحقب الثلاث، والتغيرات الاجتماعية التي أصابت الكيان الاجتماعي الجزائري بين حقبه المختلفة، وشبح الاستلاب الذي يهدد المجتمع الجزائري، وقد ميزت الدراسة بين شكلين من أشكال الاستلاب في المجتمع الجزائري: الأول: الاستلاب الخارجي، بالانحياز إلى النماذج الغربية على حساب عادات وقيم المجتمع، والثاني: الاستلاب الداخلي، والمتمثل بانتشار الشعوذة، وكثرة الأمراض العقلية.

٤- **دراسة عطاوة ويحياوي (٢٠١٦م)**، مفهوم الاستلاب الثقافي وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري – مقاربة تربوية، وقد خلت الدراسة من ذكر أهداف محددة لها، وركزت على توضيح المشكلة والتي تبلورت في الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف يمكن أن يؤثر الاستلاب الثقافي في الهوية لدى الشباب الجزائري؟ وما هي تجليات مفهوم الاستلاب الثقافي في البناء الهوياتي للشباب الجزائري؟ وكيف يمكن للمقاربة التربوية أن تدرس الظاهرة من حيث هي ذات بعد تربوي ثقافي؟، وقد خلصت الدراسة إلى أن: مفهوم الاستلاب الثقافي يأخذ طابع التضاد مع الخصوصية الثقافية التي تقع تحت هيمنة نموذج ثقافي قوي مسيطر، وأن الخصوصية الثقافية تتمثل في مفهوم الهوية الثقافية، وتشكل العولمة الثقافية التحدي الأكبر للهوية الثقافية.

٥- **دراسة صقر (٢٠١٤م)**، الغزو الثقافي والهزيمة النفسية، وتكونت هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، وخلصت إلى جملة من النتائج ومن أهمها: أن الغزو الثقافي أشد خطراً من الغزو العسكري، وأن الهزيمة النفسية بمثابة ورم خبيث منتشر في الأمة، وأن

من وسائل علاج الهزيمة النفسية: تنمية الجانب الروحي، والأخلاقي عند المسلمين.

٦- **دراسة اليوسف (٢٠١٠م)**، الشباب والثقافة المعاصرة: رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي، وتتكون من ثلاثة فصول: الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات، والفصل الثاني: الثقافة المعاصرة: مصادرها، ووسائلها، وأهدافها وتأثيراتها، والفصل الثالث: رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي المعاصر. وقد ركزت الدراسة على وسائل الإعلام المختلفة ودورها كمصدر للثقافة المعاصرة، وعلى وسائل التأثير على الشباب، المتمثلة بـ: تهييج الغرائز والشهوات، وثقافة الموضات والصرعات الحديثة...إلخ. ثم استعرضت الآثار السيئة للثقافة المعاصرة، وصنفتها إلى: آثار نفسية، وآثار أخلاقية، وآثار سلوكية وتربوية، وآثار ثقافية، وآثار اجتماعية، وآثار اقتصادية، وقدمت رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي المعاصر، تمثلت في محورين: أساليب وقائية للشباب، وأساليب علاجية.

٧- **دراسة الرواشدة والعرب (٢٠٠٩م)**، أسباب ومظاهر الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة وعلاقتها ببعض المتغيرات، هدفت إلى الكشف عن أهم أسباب الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة من وجهة نظرهم، وتعرف العلاقة بين بعض المتغيرات الاجتماعية (الجنس، المستوى الدراسي، التخصص) والاغتراب الثقافي لدى الشباب في ضوء العولمة، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، ومن أبرزها: أن من أسباب الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة: وسائل الإعلام المشجعة للشباب على تقليد الثقافة الغربية، وتقصير الجهات الرسمية في اكتشاف قدرات الشباب، وأنه لا يوجد فرق في الاغتراب الثقافي تبعاً لمتغير الجنس لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة عند مستوى ٥٠٪، في مقابل وجود فروق دالة إحصائيا بين متغير التخصص والاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة، وكانت لصالح التخصصات الإنسانية عند مستوى ٠,٥%.

تمهيد: لماذا الشباب بالذات؟!

الحديث عن الشباب، هو حديث عن حاضر ومستقبل أي أمة، فهم عدتها، وقوام نهضتها، وعماد حضارتها، وأساس قوتها، وحراس عقيدتها، وبناة مجدها وعزتها، وتزداد أهمية الاهتمام بالشباب إذا علمنا أنه يوجد هناك ١.٢ مليار شاب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٤ سنة، يمثلون ١٦٪ من سكان العالم. ومن المتوقع أن يرتفع عدد الشباب بنسبة ٧٪ المائة بحلول عام ٢٠٣٠م – الموعد المرتجى لتحقيق أهداف التنمية المستدامة – ليصل إلى حوالي ١.٣ مليار شاب وشابة. وتعد المنطقة العربية واحدة من أكثر المناطق شبابا في العالم، إذ تقل أعمار نصف سكانها عن ٢٥ عاماً (تقرير الأمم المتحدة، 2023م).

وقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بالشباب، مفصحاً عن دورهم الإيماني، ومسؤولياتهم الدينية والاجتماعية في الحفاظ على هويتهم من الذوبان وعلى قيمهم من الاستلاب، وما قصة أصحاب الكهف إلا نموذج من النماذج القرآنية الرائعة للشباب في مواجهة الاستلاب الفكري والثقافي بعزيمة وثبات، فخلد الله تعالى ذكرهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وكذلك حرص النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– الحرص الكامل على تكوين الشباب، وتربيتهم، وإعدادهم لتحمل المسئولية، وتهيئتهم لأداء الأمانة التبليغية، وكان ينصح في مناسبات كثيرة، باستغلال فترة الشباب وأيامه في الصلاح والإصلاح، والجهاد والتعمير (أبو يحيى وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢٠٨)، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وآله وسلم–: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ» (الحاكم، ١٩٩٠م،ج ٤، ص: ٣٤١، حديث رقم: ٧٨٤٦).

إضافة إلى ما سبق، فإن أكثر شرائح المجتمع عرضة لمخاطر التحديات الثقافية والوقوع في شباك الاستلاب الثقافي، هم الشباب؛ لأن «مرحلة الشباب هي مرحلة البناء الفكري، والنمو العقلي –مرحلة التأثر والتأثير– فيحصل للشاب تقلبات سريعة، ويرد على قلبه من المشكلات الفكرية والنفسية ما يجعله في قلق من الحياة، بل قد يصل إلى مرحلة يقبل فيها كل ما يُلقى إليه من أفكار، خاصة إذا لم يُتابع ويُوجّه من قبل أسرته ومجتمعه، وإذا لم تُهيأ له أسباب ضبط النفس وكبح جماحها. لذلك كله كان الشباب هدف كل غاز، ومطمع كل دعوة، وضحية لأي انفتاح مغرض» (صوفي، ٢٠٠٦م، ص ١٥).

وقد بينت دراسة (Polk, 1984) أن المشكلة في استلاب الشباب واغترابهم، هي

مشكلة ثقافية تربوية، أكثر من كونها اجتماعية أو نفسية.

وفي ضوء ما سبق: تتضح خطورة الاستلاب الثقافي لدى الشباب، فإذا فقد هويته، واستُلبت منه قيمه، وضاعت عقيدته «تحول إلى طاقات مبعثرة تبدد في فراغ، وتستهلك في غير المواقع الصحيحة، وتنتهي إلى الحيرة والقلق والتمزق والعدمية، وعاش حالة من الضياع تسهل على الأعداء احتلال نفسه وعقله وروحه وأرضه، وإذا فقد الالتزام والانضباط بالمثُل التي يؤمن بها، انقلب إلى شر محض يُدمّر نفسه وأمته» (محجوب، ١٩٨٦م، ص 8-9).

المبحث الأول:

التعريف بمصطلحات البحث، ومفاهيمه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشباب لغة واصطلاحاً:

أولاً – مفهوم الشباب لغة: الشباب في اللغة مشتق من (شبَّ)، يقول ابن فارس (٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١٣٧): «الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء، وقوته في حرارة تعتريه. من ذلك شببت النار أشبها شبا وشبوبا. وهو مصدر شبت. وكذلك شببت الحرب، إذا أوقدتها. فالأصل هذا. ثم اشتق منه الشباب، الذي هو خلاف الشيب. يقال: شب الغلام شبيبا وشبابا، وأشب الله قرنه، والشباب أيضا: جمع شاب، وذلك هو النماء والزيادة بقوة جسمه وحرارته.

وفي ضوء ما سبق: نجد أن معاني الشباب في اللغة تدور حول: النماء، والزيادة، والقوة، والحرارة، وما يترتب عليها من: العطاء، والبناء، والفاعلية».

والخلاصة: لفظ الشباب في اللغة يدور حول معاني: النماء والزيادة، والقوة، والحرارة، وهذه خصائص في مرحلة الشباب، لها أهميتها في البناء والعطاء، والإيجابية والفاعلية..

ثانياً – مفهوم الشباب اصطلاحاً:

الشباب مرحلة عمرية من مراحل عمر الإنسان التي يمر بها في حياته، إذ يتنقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، ثم ينسل منها إلى مرحلة الرجولة، فالكهولة (جمال، ١٣٩٩هـ، ص ٧).

وهناك خلاف بين الباحثين حول تحديد مرحلة الشباب، فمنهم من يميل إلى الاعتماد على البعد الزمني، في تحديد هذه المرحلة، فقائل: أن الشاب هو من أدرك سن البلوغ إلى الثلاثين، وقائل: إن فئة الشباب هي الفئة التي تقع أعمارها بين ١٥ و٢٥ سنة، وآخرون يرون أنها تقع بين ١٥ و٣٠ سنة، وبعض الباحثين يرى أن الشباب فترة عمرية تمتد من ١٦ إلى ٣٠ سنة، وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي، على نحو يجعل الفرد قادراً على أداء وظائفه المختلفة.. وهناك من يميل إلى الاعتماد على البعد الاجتماعي القائم على

النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية، بغض النظر عن المرحلة العمرية. والتصور الصحيح عن الشباب يجب أن يأخذ في اعتباره المعيارين السابقين في آن معاً، أي أن الشباب يمثل فئة عمرية في المجتمع تتسم بعدد من الصفات والقدرات الاجتماعية والنفسية المتميزة، وتختلف بداية هذه الفترة العمرية ونهايتها باختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع. (اليوسف، ٢٠١٠م، ص ١٩-٢١).

وبالجملة: ولما كان عمر الإنسان متداخلا بعضه في بعض؛ كان تحديد فترة الشباب زمنياً من الأمور التقريبية، ومع ذلك فقد قام مؤتمر وزراء الشباب الأول في جامعه الدول العربية، والمنعقد بالقاهرة عام ١٩٦٩م، بتحديد سن مرحلة الشباب ما بين ١٥ و٢٥ سنة، حيث جاء في توصيته: «يرى المؤتمرون أن مفهوم الشباب يتناول أساساً من تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٥ سنة؛ انسجاما مع المفهوم الدولي المتفق عليه في هذا الشأن» (محجوب، ١٩٨٦م، ص ٢٢)، وهذه الفترة تشمل الطلبة في التعليم العام (الأساسي، والثانوي)، والتعليم الجامعي.

وقد تم تحديد المقصود بالشباب في هذا البحث بالاعتماد على التحديد العمري، وأنها الفترة العمرية التي تتراوح ما بين ١٥ إلى ٣٠ سنة.

ثم إنه يحسن القول بأن هذا البحث لا يهمش فئة المراهقين؛ باعتبارهم من أكثر الشرائح العمرية المتفاعلة مع ثورة الاتصالات، ووسائل التواصل الاجتماعي التي حولت العالم إلى غرفة كونية صغيرة (اليوسف، ٢٠١٠م، ص ٢٣).

المطلب الثاني: مفهوم الاستلاب الثقافي:

لمصطلح (الاستلاب الثقافي) مفهومان باعتبارين: الأول: تركيبي، والثاني: لَقَبِي علَمي، ويمكن إيجازهما في فرعين، على النحو الآتي:

الفرع الأول: مفهوم (الاستلاب الثقافي) بالاعتبار التركيبي: أي باعتباره مصطلحا مركبا من جزأين: (الاستلاب – الثقافي):

أولا – مفهوم الاستلاب لغة واصطلاحا:

١- **الاستلاب في اللغة:** جذر (الاستلاب) في اللغة، هو الفعل الثلاثي (سلب)، يقول ابن فارس (٢٠٠٢م،ج ٢، ص ٧٠): «السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف. يقال سلبته ثوبه سلبا. والسلب: المسلوب. وفي الحديث: (من قتل قتيلا فله سلبه). والسليب: المسلوب. والسلوب من النوق: التي يسلب ولدها والجمع سلب».

وإذا كان (السلب) الأخذ بخفة –كما يقول ابن فارس– فإن الأخذ في (الاستلاب) يكون

أشد؛ فهو يأتي بمعنى: الانتزاع، والاقتلاع، والإزالة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ٨، ص ٣٤٩)، والشخص المُستَلَب في حياته: هو من يعيش حياة خضوع واستعباد.

٢- الاستلاب في الاصطلاح:

تحسن الإشارة قبل الحديث عن المفهوم الاصطلاحي للاستلاب، إلى أن هذا المصطلح -مقترنا ومرادفا لمصطلح الاغتراب- قد ترسخ وجودهما الفكري في أواخر القرن الثامن عشر، وأما عن البدايات الأولى، فهي تعود إلى اللاهوت البروتستانتي في بداية القرن السادس عشر من لوثر إلى كالفن (عبد الجبار، ٢٠١٨م، ص ١١).

وقد شاع مفهوم (الاستلاب/ الاغتراب) في القرن العشرين وتطور كثيراً في توصيف أشد الظواهر تبايناً وتنوعاً في ميدان الوعي، وميدان السياسة، وميدان الاقتصاد، والسوسيولوجيا، وعلم النفس، وعلم التاريخ، إلى جانب الفلسفة واللاهوت (عبد الجبار، ٢٠١٨م، ص ١٤)، وقد آثرت الترجمات العربية الأولى مصطلح (الاستلاب) على مصطلح (الاغتراب) في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، وبعد ربع قرن أو أكثر اختار جيل جديد مفردة (الاغتراب). وقد رجح عبد الجبار (٢٠١٨م، ص ١٥) -وهو ما يميل إليه الباحث- مصطلح (الاستلاب)؛ لاشتماله على معان ودلالات يخلو منها مصطلح (الاغتراب)، ذلك أن «لفظ الاستلاب يحوي ظلالاً كثيرة منها: السلب والتدمير كنقيض للإيجاب والبناء، ومنها السلب بمعنى الانتزاع والخلع أو الانخلاع، والسلبية بمعنى النكوص والانطواء وما شاكل، أما لفظ الاغتراب فيخلو من هذه الأبعاد».

وبالجملة: يُعد الاستلاب (Alienation) من المفاهيم المهمة في الخطاب العربي المعاصر، خصوصا في إطار العلاقة بين العرب والغرب؛ حيث عده بعض الباحثين من أبرز وسائل الاختراق الثقافي لعقول الشباب، وانقيادها نحو الثقافات الدخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية، وإعادة تشكيل القيم والتوجهات والرؤى المجتمعية بوجه جديد، وترسيخ مفهوم التبعية والانقياد لتلك الثقافات. ومفهوم الاستلاب من المفاهيم الجدلية؛ وذلك لتعدد المجالات المعرفية التي استخدم فيها هذا المفهوم، فقد تم تناوله في الفلسفة، والاجتماع، والاقتصاد والأدب، والقانون والطب النفسي، وأصله في اللغة الإنجليزية (Alienation) وترجمتها في الأدبيات العربية بمعانٍ متقاربة، ومنها: الاغتراب، والتغريب، والاستلاب، والألينة، والاختراق (محمد، ٢٠١٩م، ص ٢٥٣).

ولما كان هذا المفهوم ذا طابع جدلي -كما تقدم- فقد تعددت تعاريف الباحثين لمفهوم

الاستلاب، ومنها: مفهوم فروم (٢٠٠٣م، ٨-١٢، ٣١)، والذي يفيد بأن الاستلاب حالة من الاغتراب، أو الانفصال عن الذات والآخرين والطبيعة. وهو يعتقد بأن الاستلاب ظاهرة اجتماعية استولت على المجتمعات الصناعية الحديثة، يشعر معها الناس بالانفصال عن أنفسهم، وعن عملهم ومجتمعهم.

وفي ضوء ذلك فإن الإنسان المستلب في فكر فروم (٢٠٠٣م، ص ٣٢) هو «ذاك الذي لم يعد قادراً على جلب القوة من حياته الفيزيقية، والروحية، والفكرية، ولم يعد قادراً على خلق هذه القوة من ذاته وفي ذاته».

بينما يرى عكلو (٢٠١٦م، ص ٢١) في تعريفه لمفهوم الاستلاب بأنه: المصادرة قسراً لحرية الإنسان، أو رأيه، أو معتقده، أو عمله، كما يرى أن تأثير الاستلاب على الشخص يتمثل في: شعوره بالعزلة، والقهر، والانكفاء على الذات، تحت تأثير ضغوط سياسية، أو اجتماعية، أو دينية، أو اقتصادية، أو نفسية، أو ثقافية، تفرض عليه من المجتمع، أو السلطة، أو من قبل جماعة، فيفقد الإنسان انتماءه إلى نفسه، ومجتمعه، ووطنه، ويتحول إلى شخص هامشي، ليس له صوت، أو تأثير داخل مجتمعه، ويفقد التواصل والتضامن مع الآخرين، والإحساس بالواقع، أو التعايش معه.

بينما يرى حرب (١٩٩٧م، ص ٢٣-٢٤) بأن الاستلاب هو الوجه الآخر للارتداد إلى الوراء؛ معلّلاً ذلك بأن «الذي يشعر بأنه مستَلب، يستبعد سواه ويحاكمه بوصفه مرتداً عن هويته خارجاً على مجتمعه، غير أن المستلب لا يصنع بذلك حقيقةً، بقدر ما يعتقد أن الحقيقة توجد في ماض لن يعود، أو في مستقبل لا ينفك يبتعد، فهو لا يفعل سوى القفز فوق الوقائع ونفي نفسه عن العالم الراهن، للارتداد نحو البدايات التي تهرب منه، بقدر ما يحاول التماهي معها أو الاقتراب منها».

ثانيا – مفهوم (الثقافي) لغة واصطلاحا:

أولاً – في اللغة: الثقافي: نسبة إلى (ثقافة)، وأصل كلمة "الثقافة" في اللغة العربية، مصدر مشتق من الفعل الثلاثي ثقف (بضم القاف وكسرها)، وللفعل ثقف معان حسية، ومعان معنوية في المعاجم العربية، فمن معانيها الحسية: إدراك الشيء، وتقويم المعوج وتسويته، والمثاقفة والملاعبة بالسيف، ومن معانيها المجازية: الحذق والفطنة والذكاء، والتأديب والتهذيب، وسرعة التعلم والفهم (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ١٩)، أما مصطلح الثقافة في اللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية والألمانية)، يُعبر عنها بلفظة (Culture) وتفيد معنى الزراعة والاستنبات، في العصور القديمة والوسيطة، ثم تطورت دلالتها إلى تهذيب العقل

والإنسان في العصر الحديث (الخطيب، ١٩٧٩م، ص ٢٨-٢٩).

ثانياً: في الاصطلاح: الظفر بمعنى محدد للثقافة أمر صعب، إن لم يكن مستحيلا، يقول زكي نجيب محمود (١٩٩٠م، ص ١٤٣): «إنك لتسعى وراء المحال، لو سعيت وراء معنى محدد، لا لبس فيه ولا غموض، لكلمة "ثقافة"، فهي أقرب إلى متاهة تشابكت فيها المسالك وتشابهت، أو هي كالغابة تكاثرت أشجارها وضاقت طرقاتها».

ولما كان هذه المصطلح مصبوغ بطابع الخلاف والجدل، فقد وردت عشرات، بل مئات التعاريف للثقافة؛ نظراً لأن لهذا المفهوم دلالات أصلية، ودلالات تطورية، فضلاً عن اختلاف العقائد والفلسفات والأيدلوجيات التي تنطلق منها هذه التعريفات، ولذلك من الصعب أن يجد الباحث تعريفا جامعا متفقا عليه للثقافة بمعناها العام (أبو يحيى وآخرون، ٢٠٠١م، ص ١٢-١٣).

ولعل من أبرز التعريفات لمفهوم الثقافة بمعناها العام، تعريفات علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، الذين انقسموا إلى اتجاهين: الأول: يُعرّف الثقافة بأنها: طريقة الحياة، والثاني: يُعرّفها بأنها: نتاج الفكر، ومنهم من جمع بين الاتجاهين، كعالم الأجناس البريطاني إدوارد تايلور، حيث عرف الثقافة بمعناها العام الواسع بأنها: «نظام كلي متشابك ومركب، ويشتمل: المعرفة، والعقائد، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، والتقاليد.. وجميع العناصر التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع» (أبو يحيى وآخرون، ٢٠٠١م، ص ١٣).

والثقافة كمفهوم في الاصطلاح العربي، لا تخرج عن المفاهيم الاصطلاحية الأجنبية، فقد عرفها المجمع اللغوي بالقاهرة (١٩٨٣م، ص ٥٨)، بأنها: «كل ما فيه استنارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد، والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه».

الفرع الثاني: مفهوم (الاستلاب الثقافي) بالاعتبار اللَّقَبِي أو العَلَمي:

لم يظفر الباحث على تعريفات كثيرة لمفهوم (الاستلاب الثقافي) بالاعتبار اللَّقَبِي أو العَلَمي؛ نظرا لحداثة هذا الموضوع في عالمنا العربي والإسلامي، وقلة الدراسات والبحوث العلمية فيه، فضلا عن جدلية هذا المصطلح في الفكر العربي.

ومن التعريفات للاستلاب الثقافي تعريف عوض (٢٠١٣م، ص ١٠٠)، حيث عدّه - كنوع جديد من القهر - بأنه: أحد أدوات الاختراق الثقافي الذي يعد محاولة لسلخ الفرد

من أمته، وتجريده من الشعور بالانتماء لثقافته، حتى يسهل إخضاعه لمختلف صور التبعية.

والتعريف السابق يركز على أمرين: الأول: الانسلاخ من الذاتية الثقافية، والثاني: التبعية الثقافية والحضارية للآخر، وهو تعريف قاصر –في نظرنا– حيث ركز –فقط– على أهداف الاستلاب.

ويمكننا تعريف (الاستلاب الثقافي) كلقب جديد، ومسار معرفي حديث، بأنه: عملية منظمة وموجهة، وفق آليات ووسائل متنوعة؛ لانتزاع هوية ثقافية خاصة بمجتمع مغلوب، وإحلال ثقافة دخيلة جديدة خاصة بمجتمع غالب.

المبحث الثاني:

الاستلاب الثقافي لدى الشباب: مظاهره، أسبابه، آثاره؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب:

لعلّ من المناسب البدء بالحديث عن المظاهر قبل الأسباب؛ لأن المظاهر هي كأعراض المرض التي يبدأ الطبيب بالسؤال عنها، والتوصل من خلالها إلى تشخيص أسباب الداء قبل تقرير الدواء، والحال لا يختلف كثيراً في الدراسات والبحوث، فالباحث كذلك يجتهد في دراسة المشكلات الاجتماعية والإنسانية؛ للوقوف على مظاهرها، ومن ثم رصد أسبابها التي تساعده في معالجتها، والحد من آثارها.

بعد تقرير هذه المقدمة، لا يخفى على متأمل في واقع عصرنا الذي نعيشه، أنه عصر الاستلاب الثقافي كما وصفه شاويش (٢٠٠٧م، ص ٦)، ومظاهر الاستلاب في هذا العصر متنوعة، تند هذه الدراسة عن حصرها؛ لكثرتها، ومع ذلك سيتم الأخذ بمجامعها، والتركيز على أبرزها، ومنها:

أولاً – الهزيمة النفسية لدى الشباب:

والشعور بالهزيمة النفسية ناتج –في الغالب– عن إدراك الشباب للفجوة الكبيرة بين التقدم الغربي، والتخلف العربي الإسلامي.

ومن أبرز مظاهر الهزيمة النفسية لدى الشباب:

١. **الألبسة الغريبة، والأزياء العجيبة**، التي نراها على أجساد الشباب والشابات، تحت شعارات: (آخر موضة، وأحدث موديل..)، وكذلك قصات الشعر السخيفة المنتشرة بين الأطفال والشباب، من منطلق التقليد الأعمى لنماذج شاذة قدمها الإعلام تحت مسميات: (النجومية في الفن والرياضة)!..

٢. **تحقير الأنا العربية، وتقزيمها**، إزاء تعظيم صورة الآخر، فتجد صورة كثير من الشباب في نظر أنفسهم هي صورة فيها تحقير للذات، في الوقت الذي يعظمون الآخر المتفوق في قرارة

أنفسهم؛ ولذلك بقيت الذات العربية، كما يقول حسن حنفي (٢٠١٢م، ص ٩-١٠): عاجزة عن معرفة أناها، فبقيت غير قادرة على مواكبة العصر الحديث، وحكمت على نفسها بالهزيمة قبل أن تُهزم، فبقيت مهزومة.

وتحقير (الأنا العربية) جذرها - بلغة زكي نجيب محمود (١٩٩٠م، ص ١٠٩) هو: بعد المسافة الفارقة بين واقع المواطن العربي، وواقع من تقدموا في مضمار العلوم والصناعات وفنون القتال؛ لأن المعول في تقدير الأمم والشعوب إنما يرتكز أساسا على مقدار المشاركة الإيجابية في الحضارة القائمة، وشتان بين من يصنعها، وبين من هم عيال عليها!..

ومن صور التحقير الخطيرة، ما تمارسه الآلة الإعلامية العربية في نفوس مشاهديها - وأغلبهم من الشباب- من نشر مظاهر الاحتقار، وبث صور الاستخفاف بالتعليم، وتحقير المعلمين، وما مسرحية (مدرسة المشاغبين) عن هذا السياق ببعيد! (المحيمد، ٢٠٢١م، ص ١٠٠-١٠١).

ثانياً - شيوع كثير من الأنماط السلوكية المخالفة للقيم الإسلامية الأصيلة، ومنها:

١. تزايد العنف بكافة أشكاله، وانتشار الكذب والفساد والرشوة والنفاق، وهذا ما أكدت عليه دراسة حجازي وآخرين (٢٠٠٨م، ص 15).

٢. شيوع آفة التسيب، وهي انعدام الضوابط التي توقف حريات الأفراد عند الحدود التي تبدأ منها حريات الآخرين (محمود، ١٩٩٠م، ص ٩٤)، وما أكثر أن تجد - مثلا - في المجتمع اليمني التصرفات المتهورة واللامسئولة تصدر عن كثير من الشباب، والمنافية للذوق العام، كقيادة السيارة في الاتجاه المعاكس، أو وقف السيارة وسط الشارع لغرض خاص بصاحبها، مما يسبب الأذى الكثير للناس، أو عدم الوقوف بانتظام في بعض الأماكن المزدحمة كالمولات والمطاعم...إلخ.

ولو أمعن المرء النظر في دوافع هذه السلوكيات المقززة، لوجدها كامنة وراء التسيب، أو (المزاج) كما نسمعها -أحياناً- من أفواه بعض الشباب في ردهم على من ينتقدهم على تلك السلوكيات!

وهذا التسيب أو المزاجية قد جعلت من أصحابها يعيشون حالة (اللامبالاة)، وهي تعني أن الفرد لم يعد يحس بوجود الآخرين، فلا يبالي بما يصيب الآخرين من أذى ما دام هو قد ظفر بمراده (محمود، ١٩٩٠م، ص 94).

وهذه المزاجية، واللامبالاة - في الواقع - هي نتيجة انخداع كثير من الشباب بالعناوين البراقة، والكلمات اللامعة: كالفكر الحر، والانطلاق، ونسبية الأخلاق، وحتمية التطور... والتي تأثروا بها من الثقافات الوافدة من خلال

وسائل الإعلام المختلفة (الجندي، ١٩٩٤م، ص ٩٨).

٣. تسيد الثقافة الاستهلاكية الطفيلية، واحتلال المادة الإعلامية المستوردة مساحة كبيرة من الإرسال التليفزيوني، تلك المادة التي ركزت على الإغراء بالسلع والمنتجات المستوردة والتي شكلت قيماً جديدة، وحولتها لأشياء مادية سلعية، كما تغيرت سلوكيات الحياة، وأصبحت الهرولة المبالغة نحو السلع الاستهلاكية حتى ولو لم يكن هناك حاجة إليها (الضبع، ٢٠٠٦م، ص ١٣٦)، وهذا الهوس في الاستهلاك، هو الاستهلاك الأعمى أو الاستهلاك غير الواعي بلغة فروم (٢٠٠٣م، ص ١٢)، يفقد معه الإنسان اختياره، بحيث يكون مرغماً على اقتناء ما ليس بحاجة إليه.

والإشكالية الحقيقية ليست في الاستهلاك بحد ذاته، ولكن الإشكالية «أن يصاحب ذلك الاستهلاك نوع من التواكل والتكاسل، وعدم الرغبة في العمل، وغياب الشخصية المنتجة، وتحول الاستهلاك إلى حالة تشبه الإدمان تُعبّر عن ثقافة مفروضة على البشر بدلا من ثقافة اختيارية تخضع لمعايير عقلانية من أجل إعادة الإنتاج واستمراريته لصالح المجتمع، والمشكلة كذلك في تحول الاستهلاك إلى هدف في حد ذاته، حيث أصبح يعبر عن رمز لمكانة الشخص، وكلما زاد الاستهلاك لدى الفرد، زادت مكانته بين أبناء جماعته، ومن هنا زاد الطموح الاستهلاكي الذي ارتبط بالتفاخر» (محمد، ٢٠١٩م، ص ٢٦٠).

ولهذه الحالة تداعياتها الخطيرة في خلق جو من التناقضات الداخلية والتحديات الخارجية، وما ينتج عنها من تفاقم الأزمة الأخلاقية والقيمية؛ حيث ينتاب الأفراد الشعور بالإحباط الذي يدفعهم إما إلى الاستكانة فينصرفون عن الحياة العامة وشؤونها ويخلقون لأنفسهم ثقافة فرعية يحددون معاييرها القيمية بعيدا عن قيم المجتمع وتفضيلاته، أو التمرد على منظومة القيم الأصيلة المخالفة لهم، ومن ثم يندفعون إلى تدميرها، وفي كلتا الحالتين: تختفي القيم الأصيلة، وتنتشر الفوضى، ويزداد التدهور الأخلاقي (زايد، ٢٠٠٩م، ص ١٠).

ثالثاً – انتشار التفاهة: تُعد التفاهة من أبرز مظاهر الاستلاب الثقافي بين كثير من الشباب، وقد ساهمت وسائل التواصل المختلفة بصورة خطيرة في صنع التفاهة والتافهين، فالنجم اليوم في شبكات التواصل الاجتماعي، ليس المفكر، وليس الكاتب، وليس المثقف، بل هو الذي يقدم المحتوى التافه غير الهادف (المحيمد، ٢٠٢١م، ص ٨٤).

وأسوأ منصات التواصل الاجتماعي في المحتوى التافه، وصناعة التافهين هو

(التوكتوك)، ودوره الخطير في تنميط سلوكيات شاذة، وعادات ضارة!

والتفاهة اليوم أضحت عقيدة، لا حالة عارضة، بعد محاولات تقنينها، وسن تشريعات ونظريات مؤصلة لها، وبثها في أوساط الشباب، كتقنين الشذوذ، وزواج المثليين، تحت شعار الدفاع عن الحريات (المحيمد، ٢٠٢١م، ص ٧٠-٧١).

المطلب الثاني: أسباب الاستلاب الثقافي عند الشباب:

يمكن التمييز بين نوعين من أسباب الاستلاب الثقافي لدى الشباب: الأول: أسباب داخلية، الثاني: أسباب خارجية، وبيان ذلك كالآتي:

أولا – الأسباب الداخلية: وهي كثيرة، ومن أبرزها:

١- **وسائل الإعلام:** تُعدّ وسائل الإعلام أحد أهم الأدوات والوسائل ذات التأثير الكبير على سلوكيات الشباب، ومن ثم التأثير في قيمهم، وأهدافهم، وخياراتهم (محمد، ٢٠١٩م، ص ٢٥١).

وقد عدّ جلال (٢٠٠٠م، ص ٢٣١) وسائل الإعلام، بأنها صناعة عالمية جديدة للعقول، وهندسة للثقافة، ومن الدراسات الميدانية التي أفصحت عن الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في صناعة الاستلاب الثقافي لدى الشباب، دراسة الرواشدة والعرب (٢٠٠٩م، ص ٨٤)، والتي أجريت على شباب جامعة اليرموك في الأردن، وقد توصلت في نتائجها إلى أن من أبرز أسباب الاستلاب الثقافي: وسائل الإعلام التي تشجع الشباب على تقليد الثقافة الغربية، وتعمل على طمس الهوية الثقافية لدى الشباب.

وأخطر ما في الإعلام: ما أطلق عليه وطفة (٢٠١٩م): ثقافة الصورة، التي عززت ظاهرة الاستلاب الثقافي لدى الإنسان العربي؛ إذ إن التقدم العلمي والتقني الذي يشهده العالم المعاصر، أدى إلى تغوّل الصورة الإعلامية، وما استتبع ذلك من تأثير على العقول، فقد أصبحت الصورة من وسائل الاستلاب الجديدة لوعي الإنسان العربي، وقد تحولت بما تمتلكه من جاذبية وجمال – إلى طاقة سحرية يوظفها النظام الثقافي الجديد في عملية إنتاج وعي الإنسان بالعالم وهندسة إدراكه.

ولذلك فقد أصبح الخطاب البصري من المصادر الرئيسة في تشكيل القيم، والوعي، والوجدان، والسلوك، والذوق، وإنتاج الرموز الجاهزة، وتلقي الأفكار والمعارف، بطريقة آلية تجعل الإنسان نسخا متكررة تفكر، وتتذوق، وتستدل بطريقة شبه موحدة؛ لذا أصبحت الصورة هي المفتاح السحري لتشكيل وعي الإنسان المحيط به (سعادنة، ٢٠١٦م، ص ٦٢).

وقد فعلت ثقافة الصورة فعلتها في تغريب الشباب من خلال تقديم الكثير من الأعمال والبرامج والمواد المرئية المليئة بالعنف والإجرام، والميوعة، والخلاعة، وإثارة الغرائز الجنسية، وإطلاق العنان للعلاقات المحرمة بين الجنسين، وتشجيع الشباب على الشذوذ الجنسي، وتعاطي الخمور والمخدرات، وغير ذلك من السلوكيات التي كرسها الاستلاب الثقافي، والمنافية للقيم الإسلامية، والعادات العربية الأصيلة..

وقد ساهم الانفتاح العالمي من خلال منصات وسائل التواصل الحديثة، في اختلال الموازين عند الشباب فضعفت مقدرتهم على الانتقاء والاختيار من قيم وعادات وسلوكيات الثقافات المختلفة، بل اعتنق بعضهم قيماً لا تمت إلى دينهم بصلة، والمتأمل في واقع كثير من المجتمعات الإسلامية يلحظ تخلي عدد كبير من الشباب عن قيم ثقافتهم الإسلامية الأصيلة شعوراً منهم بأن هذا التفلّت ييسر لهم مواكبة التقدم، ويذلل أمامهم عقبات التحضر (صوفي، ٢٠٠٦م، ص ١٢).

وآفة الآفات في وسائل الإعلام ومنصات التواصل، هي سيطرة الغرب عليها، وتوجيهها سياسيا وثقافيا واقتصاديا، بحسب ما تقتضيه المصالح الغربية؛ فهذه أمريكا –مثلا– تسيطر على ٦٥% من حجم الاتصال الدولي المتعلق بالأخبار والبرامج التلفزيونية، وأفلام السينما والإعلان التجاري، كما تسيطر الوكالات الغربية على ٨٠% من الأخبار والمعلومات التي يتم توزيعها دوليا (الحديثي، ٢٠٠٢م، ص ١١٥).

٢- **تقصير المؤسسات الرسمية:** الجهات الرسمية لا تساعد الشباب على اكتشاف قدراتهم العلمية والثقافية، وما ترتب على ذلك من تغييب لدور الشباب الثقافي والعلمي في المجتمع (الرواشدة والعرب، ٢٠٠٩م، ص ٨٤)، وهو الأمر الذي جعل الشباب يعيشون في متاعب كثيرة، وتنتابهم هموم وأحزان متعددة، فهم أولاً محرومون –في الغالب– من حقوقهم السياسية؛ لأن أغلب الأنظمة الحكومية عسكرية استبدادية، ويشعرون أمام الغزو الفكري، والبغي الأجنبي والثقافي الغربي، ومحاولات التغريب، بأنهم دون الناس، ويفتقدون الكثير من حقوق الحياة الحرة الكريمة، وتهدد بعضهم المجاعات المتكررة.. ويعانون –أحياناً– من الثالوث المخيف الهدام (الفقر والجهل والمرض)، ولا يتوفر لهم الدخل المادي الكافي، وإذا حصلوا على الشهادة الجامعية، تبدأ معهم رحلة المعاناة في البحث عن الوظيفة لتأمين أساسيات الحياة، وإذا تحصلوا على وظيفة واجهتهم عقبات وتعقيدات في مسألة الزواج وتبعاته الثقيلة.. (أبو يحيى وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢١١).

ومن مظاهر تقصير المؤسسات الرسمية: تنافرها في برامجها المتعارضة، فما تبنيه

المؤسسة التعليمية للشباب من قيم ثقافية في سنوات، تهدمه المؤسسة الإعلامية في سويعات، من خلال كلمة شائنة، أو صورة عارية، وهذا التنافر النكد، أوجد بيئة خصبة للاغتراب الفكري، والاستلاب الثقافي في العالم العربي والإسلامي..!

٣- **انتشار الجهل والأمية التقليدية عند عوام الناس، وأمية التفكير عند شريحة واسعة من الشباب المتعلم**، فضلا عن جهلهم بأساسيات العلوم الإسلامية، وحسبك أن تخرج إلى الشارع، أو تذهب إلى مدرسة، أو جامعة وتلقي سؤالا فيما لا يسع المسلم جهله على مجموعة من الشباب، وسوف تجد من حالهم التلعثم والتحير والتردد، وفقدان الثقة بالنفس، وأما الإجابات فمنها المضحك والمبكي!

والجهل والأمية شكلا ثغرات معرفية، نفذت من خلالهما شبهات دينية تشكك الشباب في دينهم، وقرآنهم، وثقافتهم، وزاد من انتشار هذه الشبهات وخطورتها في نفس الوقت انفتاح الشباب على الثقافات الأجنبية بفعل وسائل الإعلام عامة، ومنصات التواصل الاجتماعي خاصة، مع قلة بضاعتهم في الثقافة الإسلامية التي تحصنهم من آفات تلك الشبهات، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر: فقد وقف الباحث مرة، قبل عام -تقريبا- على شبهة دينية على شكل تغريدة لأحد المشككين في تويتر، تطعن في عدل الإسلام في قضية ميراث المرأة، وظلم الإسلام لها حينما جعل نصيبها على النصف من ميراث الرجل، وقد استدل هذا الطاعن بالآية القرآنية: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وقد لاقت هذه الشبهة إعجاب عشرات الآلاف من الشباب -للأسف الشديد- في وقت وجيز، وما ذاك إلا لأنهم قد أوتوا من باب جهلهم وقلة بضاعتهم من العلم الشرعي في هذه المسألة، فانطلت عليهم هذه الشبهة المتهافتة، ولو كان معهم شيء من العلم، لعلموا أن قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ليس قاعدة عامة مطردة في ميراث المرأة، بل هي في ثلاث حالات -لا غير- بينما توجد أكثر من (٣٠) حالة ترث المرأة مثل الرجل، وفي (١٠) حالات ترث أكثر من الرجل، والدليل أن الآية السابقة قد جاءت في سياق محدد، تمثل حالات محددة، وهي قوله تعالى قبلها: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، ففي هذه الحالة (الأبناء مع البنات)، وإن نزلوا، تأخذ البنت نصف ما يأخذه الولد، عدلا لا ظلما، من باب القاعدة الفقهية (الغنم بالغرم)، فالولد في حياته مكلف بواجبات وأعباء مالية ما ليس واجبا على أخته، من مثل: المهر، والنفقة، والدية.. إلخ.

وصفوة القول: إن الجهل في مثل هكذا مسائل، أوقع بعض الشباب في حبائل الاستلاب، وكلما ازداد جهل الشباب سهل

استلاب ثقافتهم، بل استلاب دينهم، فيقعوا في فخ الإلحاد، وهو من أسوأ آثار الاستلاب، كما سيأتي بيانه في هذا البحث.

٤- **الظلم الاجتماعي:** عرّفه بعضهم بأنه: ما يصدر من الظلم المادي أو المعنوي، من بعض أفراد المجتمع تجاه الآخرين في التعامل معهم، والانحياز عنهم، وتفضيل غيرهم عليهم، أو عدم تحقيق العدل معهم، أو الإساءة إليهم (قادرة، ٢٠١٨م، ص ٣٥٢).

وما ساد الظلم الاجتماعي في مجتمع من المجتمعات الإنسانية، إلا أدى إلى تدمير ذلك المجتمع إنسانياً وحضارياً، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

ومن آثار الظلم الاجتماعي المدمرة: سحق الفرد، واختلال في العلاقات بين مكونات المجتمع، وتمزيق الشبكات الاجتماعية، وسيادة الكره والحقد في المجتمع، وظهور فتن داخلية كثيرة، وانتشار مرعب للجريمة بكل أنواعها (قادرة، ٢٠١٨م، ص ٣٥٠).

ومن أسوأ مظاهره: النزاعات الطائفية، والفئوية، والسلطوية، والتعصب الديني والمذهبي، والتي تسود معها علاقات القوة والنزاع، بدلاً من علاقات التعايش والتسامح (الراوشدة والعرب، ٢٠٠٩م، ص ٦٣).

والظلم الاجتماعي من أكبر المعضلات التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، حيث إننا «نعيش اليوم حياة، كان المواطنون فيها يسالم بعضهم بعضا حتى أمس قريب، وأصبحنا فإذا بعض يذبح بعضا من أجل قبضة مال، وبعض يخنق بعضا من أجل منصب لا يكاد يأتي حتى يزول، وبعض يفتك ببعض من أجل فكرة يتعصب لها غير واثق أنه فيها على صواب» (محمود، ١٩٩٠م، ص ٥٠).

ولما كان حال المجتمعات العربية والإسلامية بهذه الصورة المفزعة من الظلم الاجتماعي، وغياب العدالة الاجتماعية، مدوا أعينهم إلى المجتمعات الغربية، وبحثوا عن فرص السفر إليها؛ سعياً نحو تأمين حقوقهم التي افتقدوها في مجتمعاتهم، وتوفير الكرامة التي أهدرت في بلدانهم، فكان ذلك سبباً رئيسا من أسباب استلابهم ثقافيا وفكرياً!

٥- **الانحراف الفكري:** ونعني به انحراف الفكر الإسلامي باسم التجديد والتطوير تارة، وباسم المراجعة والنقد تارة أخرى، فخرج الفكر الإسلامي المعاصر عن مساره، فطعن بعض المفكرين في ثوابت دينية، ولعل المدرسة الفكرية لمحمد الطالبي التونسي مثالا لذلك، حيث اتخذ له موقعا إلكترونيا على الشبكة العالمية تحت عنوان (الجمعية الدولية للمسلمين القرآنيين)، وقد جاء في التعريف بهذه الجمعية في موقعها:

بأنها تعمل من أجل تجديد الفكر الإسلامي، وتحقيق الحداثة، والعقلانية والتقدم... وباسم تجديد الفكر الإسلامي، وعقلنته وتحديثه، أطل الطالبي من على شاشات بعض القنوات الفضائية يهذي بأفكار تطعن في مسلمات الدين وثوابته، فقال: الخمر حلال في القرآن الكريم؛ لأن القرآن -بزعمه- لم يرد فيه لفظ التحريم للخمر، وإنما استخدم لفظ الاجتناب الذي لا يفيد التحريم..!

وحلل كذلك البغاء، وغير ذلك من الطوام الفكرية التي تلقفها كثير من الشباب بنوع من الإعجاب؛ وراحوا يروجون لمثل هذه الأفكار الاستلابية خاصة في أوساط الشباب الجامعي ممن استهوتهم تلك الأفكار المسمومة، والتي تبرر للبعض منهم انحرافاتهم السلوكية كالزنا، وشرب الخمر!

وقد جاءني ذات صباح -قبل بضع سنوات- بعض شباب الجامعة ممن نحسبهم على قدر من التقوى والصلاح، يسألونني: كيف نرد على من يحلل شرب الخمر من شباب الجامعات؟ حيث قد دار بيننا وبينهم جدل حول هذه المسألة، ويريدون أن يقنعونا أن الخمر حلال في القرآن!

فأخبرتهم بمصدر هذه الأفكار التي تبناها من يطلقون على أنفسهم -زوراً- مفكرين إسلاميين كالطالبي وغيره، وأحلتهم إلى بعض المراجع المفيدة في الرد على هؤلاء، مع التنبيه على إماتة هذه الأفكار في مهدها، وعدم نشرها بحجة الرد عليها؛ لأن الشباب سريعو التأثر بهذه الأفكار التي يجدون من خلالها متنفسا لأهوائهم، وتبريرا لطيشهم المعروف عنهم في هذه المرحلة العمرية..!

٦- **التدين المغشوش:** وهو التدين الذي انحرف عن مقاصد الدين الصحيح؛ لخلل في فهمه، أو في تطبيقه، ونقف هنا على أبرز مظهرين من مظاهر التدين المغشوش، بسببهما نفر كثير من الشباب من الدين نفسه، نتيجة الصورة المشوهة للدين التي رسمها هؤلاء المتدينون في أذهان هؤلاء الشباب، فكانوا فريسة سهلة للاستلاب الثقافي والفكري:

أ. **المظهر الأول: المبالغة في الاهتمام بالمظهر على حساب الجوهر:** فنجد من بعض المتدينين -خاصة من أتباع المدرسة السلفية- من يبالغ في مظهره الخارجي، من خلال الثوب القصير، واللحية الطويلة، مع عِمّة ملتفة حول الرأس، ويعد ذلك معيار الانتساب الصحيح للدين، وإذا رأى من غيره تقصيراً في تلك المظاهر، نظر إليه بعين الاحتقار والنقص، وعده من الهالكين في الدنيا والآخرة، والحق أن هذا اللون من التدين -المتشدد في المظاهر- باب خطير من أبواب الكبر على الناس باسم الطاعات والقربات، يقول ابن عطاء: «ربما فتح الله لك

باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية، فكانت سببا في الوصول.. ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا، خير من طاعة أورثت عجبا واستكبارا» (المناوي، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٢٦٤).

ب. المظهر الثاني: الغلظة والجفاء في الطبع:

وهذا هو التدين (اليابس) الذي تحدث عنه الذهبي قديما، وهو يتحدث عن الشيخ عبد الستار المقدسي، وكان مما قاله عنه: «.... وفيه شراسة أخلاق مع صلاح، ودين يابس» (١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣٤١).

وهذا النوع من التدين بارز في أخلاقيات بعض المتدينين في عصرنا، والذين يتعاملون مع الناس عامة، والشباب المقصر خاصة، بشيء من القسوة، والخشونة والفظاظة في المعاملة، فتجد الواحد منهم خشن المراس، صعب العريكة، شديد التصلب، لا تنحل إربته، ولا تلين صفاته، كأنه قُدّ من صخر، وطُبع من جلمود، بلغ الغاية في الشراسة والشكاسة، لا ينصح برفق، ولا يدعو إلى الله بحكمة..! وهذه الحالة ولدت نفورا للشباب من الدين والمتدينين، فحدث بذلك فراغ كبير في حياة هؤلاء الشباب، فراحوا يملؤونه بالأفكار والثقافات الوافدة، التي تسببت في سلب هويتهم، والتنكر لدينهم!

ومن الجدير ذكره هنا: الحديث عن ظهور نمط جديد من التدين، كرد فعل للتدين التقليدي، سماه بعض المفكرين بـ(التدين الجديد)، حاول هذا النوع من التدين استيعاب الكثير من الشباب الذين نفروا من التدين التقليدي السابق، وهذا التدين العصري الجديد مشوب «بعاطفة إسلامية، مع وجود سلوكيات مخالفة تتماشى مع انحرافات المجتمع، وتُصبغ بصبغة دينية» (الخضري، ٢٠١٥م، ص ١٥)، وقد لاحظ أحمد زين على أتباع (التدين الجديد): «التعاطي، ونمط المعيشة، والتصورات تتم وفقا لنمط الحياة الغربية، بصورة طاغية ولافتة» (الخضري، ٢٠١٥م، ص ١٧)، ومن أبرز خصائص المتدينين الجدد (الخضري، ٢٠١٥م، ص ٢١-٢٢):

- أشخاص –في الغالب– ينتسبون لبيئات اجتماعية مرموقة ومتعلمة، وذات دخل عالٍ نسبياً.
- يميلون إلى تدين يراعي بيئتهم وثقافتهم، وينتقون الفتاوى والرؤى الشرعية الميالة للتيسير والترخص.
- يتبنون جهوداً خيرية، وأنشطة اجتماعية بنوايا طيبة.
- يمتلكون مهارات عصرية، وشهادات جامعية في علوم تقنية وطبيعية وإنسانية، ولديهم خبراتهم الفنية والإدارية، ويعتمدون على قدراتهم في مناشطهم بشكل مستقل عن أي توجيه.

• يبتعد هذا اللون من التدين الجديد عن مجال السياسة، مؤثرين الخطاب الرقائقي والقصصي والوعظي.

وللخروج من إشكاليات هذه الأنماط المتعددة للتدين المغشوش، والتقليل من آثارها السيئة، ينبغي:

١- وجوب التفريق بين مفهومي (الدين والتدين)، وعدم الخلط بينهما، فالدين: هو التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف، والتدين: هو الكسب الإنساني في الاستجابة لتلك التعاليم، وتكييف الحياة بحسبها في التصور والسلوك؛ فضبط هذه المفاهيم، وإشاعتها في ثقافة الشباب والناس عامة، ضمان لعدم عدم تحمل الدين أخطاء المتدينين.

٢- ضبط معايير التدين الصحيح المقارب لمقاصد الدين، وذلك من خلال: فهم سليم للدين، وتطبيق صحيح للتدين، بعيداً عن التطرف والغلو.

ثانياً - الأسباب الخارجية للاستلاب الثقافي لدى الشباب:

الحديث عن الأسباب الخارجية التي تقف من وراء ظاهرة الاستلاب الثقافي، لا يصدر عن المبالغة في (نظرية المؤامرة)، والتي جعلها كثير من المسلمين كشماعة يعلقون عليها كل أخطائهم، ويفسرون بها جميع إخفاقاتهم (هويدا، ٢٠٠٨م، ص ١٦)، وكذلك لا يمكن الحديث عن تلك الأسباب من منطلق إنكار لها (أي نظرية المؤامرة)، بل من منطلق التقدير للأمور بقدرها، وبحسب حجمها في الواقع بدون تهويل أو تهوين، مع قناعة الباحث بأن تأثير أغلب العوامل والأسباب الخارجية متوقف على استجابة الداخل، وتفاعله معها، فضلا عن تداخل الأسباب الخارجية مع الأسباب الداخلية في بعض الأحيان، كما سيظهر ذلك لاحقا.

ومن أبرز الأسباب الخارجية للاستلاب الثقافي ما يأتي:

١- العولمة:

يُعد مصطلح العولمة (Globaization)، أو (Mondialisation)، من المصطلحات المعاصرة الأكثر جدلاً، ولا أدل على ذلك الجدل من كثرة المصطلحات التي أطلقت على هذا المصطلح، كـ: (الكوننة)، و(الكوكبة)، و(العالمية)، و(التدويل)، و(الأمركة)، و(الغربنة)، و(النظام العالمي الجديد) (الزنيدي، ٢٠٠٠م، ص ١٥).

والأساس الذي تقوم عليه العولمة هو الانفتاح، أي انفتاح العَالَم على نظام واحد، تقوده في الغالب قوة واحدة (شاهين، د.ت. ص ٣٧)، تتدخل في شئون الدول اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، وثقافياً.. دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد، أو لدولة معينة، ودون

الحاجة إلى إجراءات حكومية (صوفي، ٢٠٠٦م، ص ٢١).

والخطورة في العولمة كسبب من أسباب الاستلاب الثقافي لدى الشباب، تكمن في أن القوى الكبرى ذات الهيمنة الثقافية، هي من تحدد معايير القيم، والسلوك، وهذا يعني أن العولمة الثقافية للدول الكبرى، تعمل على اختراق ثقافات الأمم الضعيفة (صوفي، ٢٠٠٦م، ص ٢٢).

ومن أخطر مجالات العولمة، لاسيما على دول العالم الأقل تطوراً، هي العولمة الثقافية، التي تفرض ثقافة عالمية سائدة، تلغي خصوصيات الثقافات الأصلية، وتخلق قيماً ومعايير ومعتقدات موحدة تفرضها ثقافة القوي المتغلب، على ثقافة الضعيف المغلوب (حجازي، ١٩٩٩م، ص ١٣٩). وقد كان من أبرز تداعيات العولمة: طغيان الثقافة الاستهلاكية طغيانا يفوق إشباع الحاجات الأساسية للإنسان، وما ترتب على ذلك من حلول قيم تافهة دخيلة مكان قيمنا الإسلامية الأصيلة.

والعولمة وإن كانت من أسباب الاستلاب الثقافي، إلا أنها ليست شراً محضاً، بل يمكن الإفادة منها، والانفتاح الحذر عليها (محمد، ٢٠١٠م، ص ٩٦)، فنجمع بين الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتحقيق عالمية الرسالة المحمدية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

٢- التفوق العلمي والحضاري للغرب:

من أبرز العوامل والأسباب الخارجية التي ساعدت في انتشار مظاهر التغريب، والاستلاب الثقافي في أوساط الشباب، هو تفوق الغرب علميا، واقتصاديا، وعسكريا...، في مقابل تخلف الشرق الإسلامي، في مختلف ميادين الحياة، الأمر الذي حمل كثيراً من شباب المسلمين على المقارنة وإدراك الهوة السحيقة، والفجوة الكبيرة بين مجتمعاتهم المتخلفة، ومجتمعات الغرب المتقدمة، فحصل بذلك الانبهار بثقافتهم، والإعجاب بحضارتهم، حتى وقعوا تحت تأثير الاستلاب الثقافي، الذي عبر عنه فيلسوف علم الاجتماع ابن خلدون، في مقدمته (٢٠٠٤م، ج ١، ص ٢٨٣) بقوله: «المغلوب مولع دائما بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيّه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده؛ والسبب في ذلك: أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه».

ومن أبرز مظاهر التفوق الغربي: التفوق العلمي والمعرفي، وبهذا التفوق تملك الغرب القوة والهيمنة في مختلف مجالات الحياة؛ إذ من يمتلك المعرفة يملك كل شيء، ومن هنا نعلم - كما يقول زكي نجيب محمود (١٩٨٣م، ص ٤٠)-: «لماذا حرص المستعمر أيام سيطرته

على أن تضيق دائرة التعليم العلمي في أقل حيز مستطاع؛ لتظل السيادة عندنا لثقافة الكلام».

إن السباق الحقيقي اليوم، هو سباق في مضمار العلم والمعرفة، وإذا ما عقدنا مقارنة سريعة بين الغرب والعرب في الإنتاج العلمي والمعرفي، فسوف ندرك البون الشاسع بينهما، فعلى مستوى إنتاج الكتب في البلدان العربية، نجده لم يتجاوز ١,١٪ من الإنتاج العالمي، رغم أن العرب يشكلون نحو ٥٪ من سكان العالم، كما أن إنتاج الكتب الأدبية والفنية يعد أضعف من المستوى العام، فعدد الكتب الأدبية والفنية الصادرة في البلدان العربية لم يتجاوز (١٩٤٥) كتاباً في عام ١٩٩٦م، مما يمثل ٠,٨٪ من الإنتاج العالمي (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٣م، ص ٧٨).

وهذا التخلف العربي في الإنتاج العلمي، يعود إلى ضعف الإنفاق على البحث العلمي، في مقابل الإنفاق الكبير عليه في العالم الغربي، فعلى سبيل المثال: أنفق الكيان الصهيوني الغاصب في عام ٢٠٠٨م، على مجالات البحث العلمي (٩) مليارات دولار، بينما جاء إنفاق الدول العربية مجتمعة على البحث العلمي ما يقرب من (٥) مليارات دولار، على الرغم من أن الناتج القومي العربي يبلغ (١١) ضعفا من الناتج القومي للكيان الصهيوني، وهذا ما جعل الكيان الصهيوني يحتل المركز الثالث في العالم في صناعة التكنولوجيا المتقدمة بعد وادي السيليكون في كاليفورنيا وبوسطن (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٣م، ص ٧٢).

بل وقد وصل الحال ببعض الأقطار العربية كاليمن –مثلا– إلى حرمان كوادر القطاع التعليمي في المدارس والجامعات من حقوقهم المالية الأساسية، بانقطاع مرتباتهم لأكثر من ست سنوات –بسبب الحرب والحصار– وهو –أي الراتب– لم يكن قبل ذلك يغطي الاحتياجات الأساسية في الحياة، فضلا عن تأمينه لحياة كريمة تغني صاحبها عن ذل الحاجة والسؤال، وهيهات هيهات لمن شغل ذهنه هاجس شراء نصف كيس من الدقيق (دقيق الخبز)، أن يرنو بطرفه نحو البحث والتحقيق!

والعجب يزول –في ظل هذا الوضع المتردي للتعليم عامة، والبحث العلمي خاصة– من تفشي ظاهرة هجرة الكفاءات العربية إلى العالم الغربي بأرقام وأعداد كبيرة، حيث «لا يوجد بلد عربي إلا ويعاني هجرة كثير من عقوله وكفاءاته العلمية للخارج، إما للدراسة والتحصيل العالي، أو للعمل في مختلف حقول البحث العلمي المتعدد والمتنوع من الطب والهندسة والفيزياء، وعلوم الذرة وغيرها، وتقول الإحصائيات: إن أكثر من ثلث الكفاءات العلمية انتقل من أفريقيا إلى أوروبا في عقد

الثمانينيات من القرن الماضي، وإن كنا والولايات المتحدة هما من أكثر الدول انفتاحاً وقبولاً واستيعاباً لتلك العقول والكفاءات العربية المهاجرة، وقد قبلتا خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٠م أكثر من مليون مهاجر مهني وفني من مختلف الدول النامية ومنها دولنا العربية» (الحسناوي، ٢٠١٦م، ص ١١٦).

ويقدر عدد العلماء والأطباء والمهندسين من ذوي الكفاءات والمهارات العلمية الذين يعملون خارج حدود بلدانهم العربية بما لا يقل عن (٤٥٠) ألف كادر، وقد أظهر مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية أن أكثر من ٦٠٪ من الطلبة العرب الدارسين في الخارج، لا يعودون إلى أوطانهم الأصلية!

وهذه الهجرات المتزايدة للعقول العربية، كبدت الدول العربية – بحسب تقرير للجامعة العربية – خسائر مادية تربو على (٢٠٠) بليون دولار أمريكي سنويا! (الحسناوي، ٢٠١٦م، ص ١١٧).

وهجرة الكفاءات العربية، هي هجرة العقول المبدعة، والمنتجة، والفاعلة، والمؤثرة، والحقيقة المؤسفة هنا هي: «إن أقوى البلاد إنتاجاً للعقول القادرة، هي في الوقت نفسه أقواها تقبلا لتلك العقول إذا جاءتها من خارج حدودها، وعكس ذلك صحيح كذلك» (محمود، ١٩٨٣م، ص ٢٩).

وهذه المعادلة وعكسها، هو ما ينطبق – تماما– على واقع بلادنا العربية (الطاردة للعقول)، والبلاد الغربية (المستقبل لها)، فتجد تلك العقول مجدبة في الأولى، مثمرة في الثانية؛ لأن «فطرة الإنسان تريد له أن يكون حيث يُعترف بوجوده، وبأهمية ذلك الوجود، كم وساما من أوسمة الدولة العليا منح لعالم لأنه عالم؟ كم حفلا أقامه الشعب.. لعالم لأنه عالم؟ فإذا لم تجد العقول ظروفها المواتية لحياة منتجة مقدرة مكرمة، فمن ذا يلومها أن تهاجر» (محمود، ١٩٨٣م، ص 35–٣٦).

وما سبق عرضه، ما هو إلا غيض من فيض التخلف العربي، في مقابل التفوق الغربي، وقد أعرضنا عن كثير من الإحصاءات والأرقام العربية في العلم والمعرفة والتقنية، والتي تتوارى خجلا أمام الأرقام والإحصاءات الغربية في القوة العلمية والمعرفية والصناعية، وما نتج عنها من السيطرة العسكرية، والهيمنة الثقافية، وكل ذلك جعل من الشخصية العربية شخصية قابلة للاستلاب الثقافي، والانهزام النفسي، غير قادرة على الإبداع، بحكم الظروف والتعقيدات المحيطة بها (شرابي، ١٩٩١م، ص ٥٥–٦٥).

وهجرة الشباب ليست مقتصرة على الكفاءات منهم –فقط– بل قد شملت هجرة

الشباب جميع الفئات؛ بحثاً عن فرص العمل في بلاد المهجر، بعد أن ضاقت عليهم بلدانهم بهم ذرعا، فاكتووا فيها بنار الفاقة والحرمان، لاسيما البلدان التي تعاني من ويلات الحرب والنزاعات، كالعراق، واليمن، وسوريا، وليبيا..إلخ. وكم قد سمعنا ورأينا عن حوادث مؤسفة لبعض هؤلاء الشباب لقوا فيها حتفهم، غرقا أو قتلا أثناء رحلتهم نحو المجهول بعد أن خرجوا من بلدانهم.

وهذا الحال – أي التخلف العلمي والحضاري- قد أوقعنا في الحضيض، والحضيض على نوعين (محمود، ١٩٩٠م، ص ١٠٢): حضيض منهما يكون فيه الضعف والجهل والفقر، وما إليهما من ظواهر الانحلال والتدهور، وحضيض آخر فيه العلم مأخوذاً من الآخرين، وفي الصحة مأخوذة من طب الآخرين، وفي قوة القتال معتمدة على سلاح صنعه الآخرون، وفيه –على الجملة– جوانب حضارية قائمة، لكنها جوانب مشتولة من بساتين الآخرين.

٣- الاعتماد على المصادر الثقافية الاستشراقية:

وهنا: «خطران يواجهان الشباب المثقف: وكلاهما مر: أما أحدهما: فهو كتب موضوعة ومكذوبة، وثانيهما: كتب الوجودية والجنس والأدب المكشوف، وأبلغ الخطر هو محاولة بعض المستشرقين ودعاة التغريب اعتماد مثل هذه الكتب التي ألفت في فترة الضعف والتخلف كمصادر لدراسة الإسلام، أو المجتمع الإسلامي، أو الاستشهاد بكتب المحاضرات والفكاهات، أما كتب "الأصول" التي ألفت في العصور الأولى وحملت لواء الفكر الإسلامي الأصيل، فقد حاول بعض أعداء الإسلام وصفها بالكتب الصفراء؛ حتى يعزف عنها الناشئة والمثقفون، إن نظرة صحيحة إلى القرآن الكريم تكفي في هداية المسلمين إلى التراث الأصيل، والتفرقة بينه وبين التراث الذي وضعته عصور التخلف والضعف» (الجندي، ١٩٩٤م، ص ٩١).

إن الكثير من المعلومات عن ثقافتنا وتاريخنا مشوهة؛ لأنها كُتبت بأيدٍ استشراقية حاقدة، وعلى سبيل المثال –لا الحصر– دائرة المعارف الإسلامية، وهي موسوعة أكاديمية تُعنى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية، أو الثقافية، أو العلمية، أو الأدبية، أو السياسية، أو الجغرافية على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام، وقد صدرت على طبعتين: الأولى: بين ١٩١٣ – ١٩٣٨م، والثانية: ما بين ١٩٥٤ – ٢٠٠٥م، وتصدر من قبل شركة بريل الهولندية، وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة من بينها (الإنجليزية والفرنسية، والألمانية)، وقد أعد

هذه الموسوعة مجموعة من كبار المستشرقين الأوروبيين، منهم: الفرنسي (لويس ماسينيون)، والهولندي (جوزيف شخت)، والبلجيكي هنري لامنس، والإنجليزي أ. ج. أربري، والألماني كارل بروكلمان، وغيرهم كثير (ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki).

وهذه الموسوعة ذائعة الصيت، وما فيها من الأكاذيب والأباطيل، كانت ولا تزال هي مصدر أبحاث ودراسات الكثير من الباحثين العرب والأجانب فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وهي في الحقيقة، تمثل سبباً من أسباب الاستلاب الثقافي لدى بعض الشباب الذين تلقفوا عنها -بطريق مباشر أو غير مباشر- معلومات مغلوطة، وشبهات حاقدة، شوهت الصورة الناصعة لحضارة المسلمين وثقافتهم، ولذلك تصدى بعض الباحثين لكشف هذه الحقيقة، ومثال على ذلك: كتاب (دائرة المعارف الإسلامية: أضاليل وأكاذيب)، لإبراهيم عوض، الصادر عام ١٩٩٨م.

٤- عملية التغريب التي فرضت نفسها على العالم العربي والإسلامي بأساليب وطرق مختلفة، ومن أهمها:

أ. إزالة مناهج الإسلام من المؤسسات الثقافية العربية.

ب. فرض المناهج الغربية عليها وتقديم المفاهيم والنظريات والمذاهب الغربية على أنها علم وليست فلسفة، وعلى أنها حقائق وليست فروضاً تقبل الصح والخطأ (الجندي، ١٩٩٤م، ص ١١٠).

وكما أن التغريب سبب من أسباب الاستلاب الثقافي، فقد ترك آثاراً سيئة على الشباب خاصة، والمجتمع عامة، نأتي عليها بشيء من التفصيل في المطلب التالي.

المطلب الثالث: آثار الاستلاب الثقافي:

يمكن تصنيف آثار الاستلاب الثقافي إلى فرعين: الأول: آثار فردية خاصة بالشباب، والثاني: آثار عامة على المجتمع ، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: آثار فردية على الشباب:

١- أفرز الاستلاب الثقافي الكثير من المشكلات والأزمات التي يعاني منها الشباب، ومن أبرزها (أبو يحيى وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢١٠-٢١٢):

أ- **الأزمة الروحية:** وما تتضمنه من اختلال في التوازن بين المادة والروح في شخصية الشباب.

ب- **الأزمة الفكرية:** وما تحمله من الصراع الفكري بين الأصالة والمعاصرة، في خضم الأيديولوجيات المتصارعة.

ج- **الأزمة السياسية:** وما تتضمنه من شعور الشباب بالأسى، وخيبة الأمل تجاه الأمة، وعدم وحدتها، والأخطار التي تواجهها، وبخاصة

الخطر الصهيوني، والنفوذ اليهودي في دول المشرق والمغرب.

٢- **يمثل الاستلاب حربا شرسة تفتك بالعقول والقلوب بلا رحمة**، صيّرت الشباب إلى عزائم خائرة، وهمم فاترة، وقوى خامدة، وكائنات عن العمل والإنتاج قاعدة، وهذا الأثر السيء والخطير للاستلاب هو ما أكد عليه فروم (٢٠٠٣م، ص ٣٤) في سياق تحليله لإشكالية استلاب الإنسان، والتي حددها بعدم قدرة الإنسان المستلَب على جلب القوة من حياته، وعجزه عن العمل والإنتاج، حتى يصبح سلوكه لا يعدو عن ردود أفعال لما يدور حوله من أحداث.

وقد كان هذا الأثر السيء في نفوس الشباب، نتيجة لبث أعداء الإسلام في عقول الشباب بأن عقيدتهم هي السر الكامن وراء تخلفهم؛ لأن إيمانهم بالقضاء والقدر -بزعمهم- يعني الاستسلام والقعود، فقتلت هذه الشبهة الطموح في نفوس الشباب، وأورثتهم الكسل والعزوف عن العمل، فتكلّستْ في حياة الشباب الأخذ بمبدأ السببية، واستولت عليهم العقيدة الجبرية. ولا شك أن النموذج البشري الذي تقوم عليه فكرة الجبرية، هو نموذج إنساني سلبي خامل كسول، مستسلم للواقع، متنازل عن حقه الطبيعي في الاختيار (الجندي، ١٩٧٩م، ص ١٣).

٣- **اللامبالاة وعدم القدرة على تحمل المسئولية**، والعجز عن تحمل مسئولية تكوين الأسرة، والخوف من مطالب الحياة، وهذا يعود لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية سبقت الإشارة إليها في المطلب السابق.

٤- **حياة عدمية بلا معنى:** وهذا أثر من آثار استلاب الإرادة الحرة والواعية من الشباب، عاشوا معها الحياة بلا قيمة حقيقية يحيونها، أو هدف نبيل يسعون لتحقيقه؛ لأن الاستلاب قد عطل الحس النقدي لدى الشباب، وأفقدهم روح المبادرة، والقدرة على التفكير، وأورثهم الشعور باليأس والإحباط، وعدم الثقة بالذات، وإيثار العزلة، والانكفاء على الذات، ومحاولة الهروب من الواقع بالانغماس بالملهيات، ومعاقرة الخمور والمخدرات، والتسكع في الشوارع والطرقات، وحياة شباب بهذهِ الصورة فيه خطورة على المجتمعات (سعادنة، ٢٠١٦م، ص ٦١).

وهكذا نشأ جيل من الشباب المسلم، كما قال عنه المنصِّر صموئيل زويمر – في مؤتمر القدس، والذي انعقد في نيسان من عام ١٩٣٥م -: «إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم للعظائم، ويُحبّ الراحة والكسل، ولا يصرف همته في دنياه إلا في

الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، يجود بكل شيء. إن مهمتكم تمّت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج» (الميداني، ١٩٩٤م، ص ١٠٠).

٥- **فقدان الهوية الإسلامية:** تدور معاني الهوية حول: الذاتية، والتفرد، والسلوكيات والصفات التي تميز الفرد أو المجتمع عن غيره، وترتبط بالانتماء ارتباطا وثيقا (حكيم، ٢٠١٣م، ص ١٤٧)، والهوية لإسلامية هي تعبير عن الانتماء إلى الله، ورسوله، ودينه الذي ارتضاه لعباده، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، وموالاة الصالحين من عباده ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥].

والمحافظة على الهوية الإسلامية هي التحدي الأكبر للمسلمين في هذا العصر الذي تكالبت فيه الأمم على أمة الإسلام، وتداعت عليها – كما في الحديث الشريف – كتداعي الأكلة على قصعتها – لاستهداف هوية المسلمين؛ حتى يسهل السيطرة عليهم، ودمجهم –بعد تمييع ثقافتهم– في إطار النموذج الأمريكي كما قال نيكسون: «إن على أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم، لتنشر أفكارها ومبادئها، وتكون مثلا يحتذى بين دول العالم» (مورو، ٢٠٠١م، ص ١٦). وقد اتخذ الاستلاب الثقافي العديد من الوسائل لإضعاف الهوية الإسلامية لدى الشباب، ومن أهمها (حكيم، ٢٠١٣م، ص ١٨٢-١٨٦): إضعاف العقيدة الإسلامية، وزرع الصراعات الفكرية والطائفية والمذهبية، وغربنة مناهج التعليم، ونشر الاختلاط بين الجنسين، وإبعاد العلماء والمفكرين عن مراكز التوجيه والتربية بعد تشويه سمعتهم، ونشر الفواحش والدعارة بين الشباب باسم التحرر والمدنية، وإفساد المرأة باسم تحريرها ومساواتها بالرجل، ويمكن أن نلخص كل ما سبق بكلمة واحدة، وهي (التغريب)، ومن أخطر أدوات التغريب في العالم العربي والإسلامي هو (الإعلام) بكافة أشكاله وصوره!

وقد كشفت العديد من الدراسات الميدانية عن تأثر الهوية الثقافية العربية بسبب التيار الإعلامي الغربي الجارف للخصوصيات الثقافية، ففي دراسة أجراها اتحاد إذاعات الدول العربية حول (الانعكاسات الثقافية والاجتماعية للبث المباشر على دول: تونس والأردن ومصر) خلصت إلى: ارتفاع نسبة الإعراض عن مشاهدة البرامج الوطنية؛ بسبب توفر عروض أخرى أكثر إغراء وجاذبية ومتعة، والذهاب إلى البث الأجنبي المباشر (الرواشدة والعرب، ٢٠٠٩م، ص ٦٨).

وقد بدا للعيان الكثير من مظاهر ضعف وفقدان الهوية الإسلامية لدى بعض الشباب، تجلّت في

مظاهرهم وسلوكياتهم كـ: القصات الغريبة، والملابس المشققة، والأزياء الضيقة، والأثواب المطرزة، والسلاسل المعلقة.. (حكيم، ٢٠١٣م، ص ١٨٧-١٨٨)، وغيرها من المظاهر التي سبق الحديث عنها في مبحث مظاهر الاستلاب الثقافي.

٦- **الإلحاد:** وهو من أبشع الآثار التي يتركها الاستلاب الثقافي في حياة الشباب، وقد جرى الاصطلاح على التعبير بلفظ الإلحاد عن إنكار وجود الله تعالى، وحديثنا عن الإلحاد لا يقتصر فقط على هذا المفهوم التقليدي، ولكنه في مفهومه الواسع الجديد يتناول العديد من صور الإلحاد، منها: اللاأدري (المتوقف في مسألة وجود الله)، والربوبي(المعتقد بوجود إله خلق، لكنه يرى أن هذا الإله خلق الكون ثم تركه يعمل كالساعة الزنبركية التي أدير مفتاحها، ثم تُركت لتعمل وحدها بدون توجيه ولا تدبير)، واللاديني (المنكر للأديان عامة) (عزمي، ٢٠١٥م، ص ١٨-١٩).

وظاهرة الإلحاد المنتشرة بين الشباب اليوم، وإن كانت في الواقع هي محصلة نهائية لمجموعة من أسباب عديدة: دينية، واجتماعية، ونفسية، وسياسية.. -لا يتسع هذا المقام لتفصيلها- إلا أنه من الملاحظ أن تلك الأسباب لا تخرج عن دائرة الاستلاب الثقافي والفكري، فالشباب الملحد، هو قبل ذلك مستلَب ثقافيا، قد تأثر بالشبهات، وغرق في وحل الشهوات، غرّه بريق الحضارة الغربية، وفتنه تخلف المجتمعات الإسلامية، بل وصل حال كثير من الشباب من يحسب إلحاده مظهراً من مظاهر التمدن والتحضر، وأن الدين مظهر من مظاهر التخلف والتقهقر، وقد تنامى إلى سمع الباحث وبصره أن شبابا يمنيين أصبحوا ملاحدة، ولهم جروبات سرية خاصة في وسائل التواصل الاجتماعي من خلالها ينشرون إلحادهم، وهاكم هذا الموقف:

قبل نحو ثلاث سنوات، جاءتني طالبة جامعية بعد انتهاء محاضرة لي من محاضرات مقرر (الثقافة الإسلامية)، وكانت المحاضرة عن (ظاهرة الإلحاد المعاصر)، لتخبرني بمعلومة صُعقتُ منها، حيث قالت لي: هل تصدق بوجود طلبة جامعيين من الذكور والإناث وهم ملاحدة؟! وقد أنشأوا لهم جروبات سرية خاصة!

ثم قالت: هل تقبل بالدعوة إلى الانضمام إلى أحد هذه الجروبات؛ لتناقش الطلبة الملحدين، وتعرف عن كثب أسباب إلحادهم؟ وعسى الله أن تعيدهم إلى دينهم على يديك!

وبعد أن قبلت دعوة الانضمام، وأتيحت لي فرصة المشاركة والمناقشة، وجدتُ ما تشيب منه الولدان داخل هذا الجروبات من الاستهزاء بالله، وشعائره، ورسوله، وكتابه، والضحك من قضايا الإيمان الغيبية: كالملائكة، واليوم الآخر، والجنة، والنار.. إلخ.

وبعد مناقشات وحوارات تبين لي أن أغلب هؤلاء الشباب قد اتخذ من الإلحاد ما يمكن أن نسميه بـ (موضة ثقافية)، يريدون من خلالها إثبات ذات متحضرة، وشخصية عصرية متمدنة!

أليس هذا الحال، يؤكد لنا أن الإلحاد هو أشر آثار الاستلاب الثقافي الذي أشرنا إليه في صدر الحديث عن الإلحاد؟!

ومن يبحر في الشبكة العالمية يجد عشرات المواقع الإلحادية للشباب العربي، ومن أشهرها (شبكة الملحدين العرب)، فضلا عن عشرات الحسابات في مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك، وتويتر.

ومع تنامي ظاهرة الإلحاد في الوسط الشبابي العربي، إلا إنه لا توجد إحصائيات دقيقة بعدد الملحدين؛ ويمكن أن يعزى ذلك لأسباب كثيرة، من أهمها:

- كثير من الشباب يكتم إلحاده؛ خوفا من ردة فعل مجتمعاتهم التي تؤمن بقتل المرتد عن دينه، كما هو معروف في مصادر الشريعة الإسلامية.
- تقصير المحاضن التربوية -وأهمها الأسرة- في متابعة الشباب، وعدم تلمس احتياجاتهم، وهمومهم، ومعرفة المواقع الإلكترونية التي يرتادونها، حتى صار كثير من الشباب يعيشون حياتهم الخاصة -بما فيها الحياة الثقافية والفكرية- بعيدا عن اهتمام أسرهم، ومعلميهم.

٧- **انتشار الأمراض النفسية، والانتحار:** وقد زادت معدلات الانتحار في الآونة الأخيرة في أوساط الشباب بشكل ملحوظ، حيث تشير عناوين الأخبار، ومواقع التواصل الاجتماعي إلى تنامي ظاهرة الانتحار بشكل كبير بين الشباب في مختلف الدول العربية، وتعد مصر الأولى عربياً (موقع BBC NEWS عربي، ٢٠٢١م). ونشرت صحف قبل سنوات تقريرا، يفيد عن وجود حالة انتحار كل (٤٠) ثانية (تدبر، ٢٠١١م، ج ٢، ص ١٢٧).

والأمراض النفسية والتي قد تفضي إلى الانتحار، تُعْزى إلى ضعف الإيمان بالله، أو فقدانه، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

الفرع الثاني: آثار عامة على المجتمع:

لا شك أن التمادي في السكوت عن أسباب الاستلاب الثقافي وغض الطرف عن آثاره على حياة الشباب، سيكون لها تداعياتها الخطيرة على مجتمعاتهم التي يعيشونها؛ فما المجتمع إلا مجموعة أفراده ومنهم الشباب، ومن أهم التداعيات الخطيرة للاستلاب الثقافي على المجتمع، ما يأتي:

١- **تفكك البنى الاجتماعية،** والذي بدأت ملامحه في النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم، وقد بدا تفكك البنى الاجتماعية بتفكك الأسرة في المجتمعات الغربية (Giddens,

1996). ومن المؤسف أن هذا التفكك بدأ يطارد الأسرة في المجتمعات الإسلامية، بعد موجة التغريب، وتشوش الهوية، والتقليد الأعمى للغرب بدون وعي.

٢- اختلال مبدأ الانتماء للمجتمع الإسلامي:

نص القرآن على أن المسلمين أمة واحدة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، جمعتهم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، حيث إن توحيد الله تعالى بهذه الكلمة، «هو الركن الأعظم، والواجب الأهم، فمن قام به حق القيام، فقد دخل باب النجاة، ودرج في معالم الفلاح» (الديلمي، ٢٠٢٠م، ص ٢١).

والانتماء للتوحيد تجسيد عملي لوحدتها، فـ «وحدة الأمة هي المبدأ، وذلك بديهي؛ لأنه بغير وحدة فلا أمة» (محمود، ١٩٨٣م، ص ١٢٣).

وقد كان المسلمون أمة واحدة في دنيا الناس، يوم كان القرآن منهاج حياتهم، وأساس حضارتهم، فكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، حتى هبت رياح التغيير الثقافي فاعتل مبدأ الانتماء للأمة، خاصة في نفوس الشباب، بعد أن اختل مفهومه، وهنا يميز الباحث بين نوعين من هذا الاختلال الذي أصاب هذا المبدأ في مقتل:

النوع الأول: تميع الولاء:

حيث توزع ولاء كثير من الشباب على ثقافات المجتمعات المتقدمة التي تأثروا بها، وراحوا يقلدونها في طرائق حياتهم، على حساب انتمائهم لأمتهم، وثوابت دينهم، وقد تجسدت ولاءات الشباب للثقافات الوافدة في الكثير من مظاهر سلوكهم، وظهرت في العديد من مشارب حياتهم، حتى اصطبغت الكثير من المجتمعات الإسلامية بقيم غريبة، وعادات دخيلة، غاب معها مفهوم الانتماء الحقيقي لتلك المجتمعات الإسلامية، إلى درجة أن وجدنا بعضا من الشباب يخجلون من ممارسة الشعائر الإسلامية التي تعزز مفهوم الأمة الواحد، كشهود الصلوات في الجماعات، وإفشاء تحية المسلمين بين الناس، والأخذ بالتحايا الأجنبية الوافدة، كـ: (Hi)، و(Good morning)!

النوع الثاني: تضيق دائرة الانتماء:

كان المسلم يدور حول فلك الأمة، ثم أصبح يدور حول فلك الطائفة، أو الحزب، أو الفرقة، أو المذهب، أو القبيلة، فتفرق المجتمع شيعا وأحزاباً ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وجعلوا التعصب للمذاهب ديانة، والتحزب للجماعات عقيدة، والولاء للطائفة منجاة!

ومن العَجَب أن ترى تلك الفرق والجماعات، والمذاهب، والطوائف، كل واحدة

تعتقد في نفسها أنها الفرقة الوحيدة الناجية، وما عداها هالكة وخاسرة!

والأعجب مما سبق، تمركز بعض الشباب حول الأشخاص على حساب الأفكار، إلى درجة التقديس، وإضفاء العصمة لمن لا يستحقها ولا يدعيها.. إن بعض نفي احتمال الخطأ عن الأشخاص آخذة في التوطن في بعض بلاد المسلمين إلى درجة غريبة، مسرفة في التطرف، بحيث لا يجرح ذلك كبرياء العقل فحسب، وإنما يخدش صفاء التوحيد (بكار، ٢٠٠٠م، ص ٤٧).

٣- اختلال موازين القيم المجتمعية:

وهذه نتيجة حتمية للاستلاب الثقافي على المجتمع الإسلامي الذي انحسرت فيه قيمه الإسلامية الأصيلة، وحلول قيم الثقافة الوضعية الوافدة مكانها، التي قطعت صلتها بالسماء، حيث أصبح الإنسان هو مصدر هذه القيم المجتمعية، وهنا الإشكالية الكبيرة في الثقافة الغربية التي تدور حول "مركزية الإنسان"، أي أن الإنسان مركز الكون، وسيد الطبيعة، وهو بالتالي مصدر القيم والتشريعات، ولا حاجة له إلى وحي السماء، وهذا هو ما يُعرف بـ (الأنسنة) (الهتار، 2022م).

والإنسان بطبعه ظلوم، جهول، متقلب، وضعيف. فكيف يكون كيان بتلك الصفات مصدراً للقيم المجتمعية؟!

والمجتمعات بهذه الحالة المسلوبة، يقول عوض (٢٠١٣م، ص ١٠٠) في وصفها: إذا تعرضت ثقافة ما للانهيار، أو الاختراق فإن ذلك معناه أن المجتمع سيكون عشوائيا في حركته، مفتقدا بذلك بوصلة التوجيه، إضافة إلى أنه يطلق الغرائز وهي – القاعدة الحيوانية في الإنسان– من غير ضابط يتولى السيطرة عليها، إلى أن تصبح سلوكيات الإنسان موجهة بمنطق غريزي، وخالية من كل قيم أو معايير مثلما هي خالية من أي رشد أو منطق.

٤- اختزال مفهوم الثقافة – في الوعي الجمعي– في المعنى العام للثقافة، والذي يعني: أسلوب الحياة التي يعيشها المجتمع، والتنافس المحموم في سبيل اقتناء الكماليات، والحرص على إرضاء الناس في مختلف المناسبات الاجتماعية كالزواج مثلا، الذي يستنزف الكثير من الأسر: مالياً، ونفسياً، فيكون حال الأسرة من قبل وأثناء وبعد فترة الزواج أشبه بإعلان حالة طوارئ، ولسان مقال الأسرة في تعليل ذلك باللغة الدارجة: (لا يضحك علينا الناس)!

ومن هنا طغت على المجتمع المادية، والأنانية، والنزعة الاستهلاكية التي كرّست قيمة المكانة الاجتماعية بتملك السلع بغض النظر عن الحاجة إليها، حتى أصبح الكثير من أفراد المجتمع مسلوبي العقل والإرادة، لا قدرة لهم

على ضبط رغباتهم الاجتماعية (محمد، ٢٠١٩م، ص ٢٦٠-٢٦١).

المبحث الثالث:

المنهج القرآني في معالجة الاستلاب الثقافي:

والآن جاء دور الانتقال إلى الخطوة التالية في هذه الدراسة، والمتعلقة بتقديم رؤية قرآنية للتحديات الثقافية، وسبل مواجهتها؛ للحد من الاستلاب الثقافي بين الشباب خاصة، وسائر الناس عامة، والمرجو من القارئ الكريم التحلي بالصبر الجميل، وسيجد جزاء ذلك في أهمية هذه الرؤية المستوحاة من هدي القرآن الكريم، في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: مضامين قرآنية عن الاستلاب الثقافي:

أفصح القرآن الكريم عن الصراع المستمر بين الحق والباطل، فأهل الباطل كانوا -ولا زالوا- يقاتلون أهل الحق بكل وسائل وأدوات المقاتلة: العسكرية، والثقافية والفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وهذا الصراع الأزلي قائم وفق سنة الله في التدافع الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. «ولماذا يدفع الله الناس بعضهم ببعض؟ لأن هناك أناساً يريدون الشر، وأناساً يريدون الخير، وإذا وقعت المعركة بهذا الوصف، فإن يد الله لا تتخلى عن الجانب المؤمن الباحث عن الخير، فهو سبحانه القائل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾» (الشعراوي، ١٩٩١م، ج ٢، ص ١٠٦٢).

والمجتمعات المستكبرة التي تفرض ثقافتها على المجتمعات المغلوبة، لا تخرج عن الوصف السابق في إرادة الشر، ونشر الفساد والإفساد، والترويج للرذائل، ومحاربة الفضائل؛ بغية إطفاء نور الحق ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ولكن هيهات هيهات ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

والقرآن الكريم غاص بالآيات المتضمنة للاستلاب الثقافي، والمنبهة لمظاهره، والمحذرة من آثاره وأخطاره، وكيفية التغلب عليها، وهذه بعض الأمثلة:

- **الإغراء والإضلال:** ومحاولات الأعداء في سبيلها مستمرة، ولم يسلم منها حتى الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، وهل بعد هذا نظن أن شباب اليوم في مأمن من هذه الفتن؟!

- **اتباع الأهواء والشهوات:** والإغراق في الملذات التي وقع فيه كثير من الشباب تحت تأثير القنوات الفضائية الهابطة، ومحتوى كثير من وسائل التواصل التافه، تأمل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ومن أخطر أدوات الاستلاب الثقافي في إفساد الشباب: إشاعة الصور العارية، والأفلام الإباحية في القنوات والشبكات، وهذه هي طرق شياطين الإنس والجن في كشف العورات، كما قال تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وكشف العورات هي بضاعة الأبالسة في الإغواء وإتباع الأهواء الذي يورد الإنسان إلى المهالك والضلال، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال عز من قائل: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد بين القرآن في مواضع كثيرة بعض وسائل الإغراء والإغواء للوقوع في المحرمات، كمعاقرة الخمور، والإدمان على المخدرات والقمار، والتي ابتلي بها كثير من شبابنا اليوم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، وكذلك إفساد الشباب من خلال النساء والمال وغيرها من متع الدنيا، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

والشاب العاقل مهما بلغ ورعه وتدينه، لا يغرر بنفسه فيلقي بها في مواطن الشبهات؛ لضعفه الجبلي ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

- **إثارة الشبهات:** والتأثر بها؛ نتيجة التلبيس والخداع، وكتم الحق، قال تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

- **الإلحاد وترك الدين:** وهو من أسوأ آثار الاستلاب الثقافي على الشباب المسلم -كما تقدم-، وقد كشف القرآن الكريم الحالة النفسية لأنصار الحرب الناعمة في حرصها على نشر الإلحاد والكفر بين المؤمنين، قال عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ

إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومهما حاول الأعداء في تجميل صورتهم، وتزيين أعمالهم التي تسلب شبابنا دينهم، وقيمهم، وأخلاقهم تحت شعارات براقة خادعة، فإن نفوسهم مطوية على الشر والأذية، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقد تفلت من ألسنتهم بعض ما تخفي صدورهم: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

- **إشاعة الهزيمة النفسية:** وهي من أشد مظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب، وقد ألمح القرآن الكريم إلى خطورة الانهزام النفسي الذي يبثه الأعداء والمنافقون في صفوف المؤمنين، قال تعالى مبيناً خطر المنافقين الذين يبثون الهزيمة النفسية بين المجاهدين في سبيل الله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

- **تزييف الوعي وقلب الحقائق:** من خلال تأويل القرآن، التأويل الذي يخدم أعداء الإسلام، لاسيما اليهود الذين خصهم الله بتحريف كلامه في مواضع كثيرة، وهاهم اليوم يجددون هذا المسلك بما أعلنت عنه وزارة خارجية إسرائيل من إطلاق مشروع عالمي لتفسير القرآن بعنوان: (قرآنت)، ليكون -بزعمها- وسيلة تربوية!

تأمل قول الذي خلقهم، وكشف أستارهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] (تدبر، ٢٠١٢م،ج ١، ص ٤٨).

- **تسيّد الثقافة المادية:** أسرفت الثقافة الغربية المعاصرة في إشباع حاجات الجسد على حساب مطالب الروح، فأغرقت الناس -ومنهم المسلمون- في ملذات الدنيا المختلفة من مأكل، ومشرب، وملبس، ولهو، ولعب، وترفيه، حتى تسيدت الثقافة الاستهلاكية المادية في حياة الشباب والناس -كما مر معنا سابقا- حتى نسي الناس حقيقة هذه الدنيا، وهي الحقيقة التي ضرب القرآن لها مثلاً في أحسن صورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]. وتأمل كيف ختم الله الآية بقوله ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، للإشارة إلى أهمية بناء التفكير السليم للانتفاع بالعقول؛ حتى لا تكون ضحية الاستلاب أو الاغتراب.

هذه بعض الملامح العامة عن الاستلاب الثقافي في بعض آيات القرآن الكريم، اقتصرنا عليها بما يسمح به المقام، ويوجد غيرها كثير لم نتعرض لها؛ خشية الإطالة.

المطلب الثاني: المنهج القرآني في معالجة الاستلاب الثقافي:

قد يفهم البعض أن الحديث عن علاج مشكلات الشباب، وما تتهددهم من أخطار الاستلاب الثقافي، أو الانحراف السلوكي، هو عبارة عن بذل المزيد من خطب تقال، ودروس تلقى، ومقالات تكتب، وإذاعات تذاع، وكتب تنشر، وغيرها من الوسائل التي لا تعدو عن كونها كلاماً في كلام، وإنما العلاج ينبغي أن يكون وفق دراسات علمية منهجية تشخص الأدواء والعلل، وتقرر الأدوية والحلول الناجعة، بصورة عملية تأتي على المشكلة من جذورها، وسنحاول في هذا المطلب استقصاء العلاج القرآني الناجع لظاهرة الاستلاب الثقافي التي عمت بلواها لدى كثير من شباب المسلمين!

والمنهج القرآني في مواجهة التحديات الثقافية، منهج متفرد متميز، فهو منهج عملي أكثر من كونه نظرياً، كما أنه منهج مستمر يستوعب متغيرات الزمان والمكان والإنسان، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها؛ لأنه منهج الله رب العالمين ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقد كثرت تصريحات الأعداء التحذيرية من القرآن الكريم، ومنها تحذير غلادستون (رئيس وزراء بريطانيا سابقا) بعد أن أمسك بمصحف بيده في مجلس العموم البريطاني، ثم أشار إليه بقوله: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان» (الرومي، ١٤١٢هـ، ص ٤٤٢).

وما هذا القلق والخوف من القرآن الكريم؛ إلا لأنه يفضح مؤامراتهم الخبيثة ويكشف مكائدهم الحاقدة، من جهة، وفيه عصمة من الفتن، وملجأ من الضلال، وحصن من الاستلاب من جهة ثانية.

وقد لاح للباحث في استعراض المنهج القرآني في معالجة التحديات الثقافية، أن يجعله في ثلاثة محاور أساسية، نوجزها كالآتي:

المحور الأول: التربية القرآنية للشباب:

ونعني بالتربية عموما: تلك العملية التي يتم عن طريقها تنمية جوانب الشخصية

الإنسانية في مستوياتها المختلفة: مستوى الوعي والإدراك المعرفي، والمستوى العاطفي الوجداني المشتمل على: الميول والاتجاهات والقيم، والمستوى الحركي المتصل بالمهارات العملية المختلفة (سعيد، ١٩٩٥م، ص ١٨).

والتربية القرآنية للشباب -كما يفهمها الباحث- تتلخص في: صياغة الشباب صياغة إيمانية حضارية، وبناء شخصياتهم بناء شاملاً متكاملاً، من حيث: العقيدة والتصور، والذوق، والفكر، والمادة، والسلوك؛ ليكونوا أصحاب رسالة هادية وهادفة، فاعلة ومنتجة، يخدمون أمتهم، ويتقنون عملهم، مستجيبين لأمر الله تعالى في وجوب الإعداد الدائم ما استطاعوا من مظاهر القوة المتنوعة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن جهاد شامل يستوعب مجالات الحياة المختلفة.

والتربية من المنظور القرآني، ليست ترفاً، أو هدفا ثانوياً، وإنما هي فريضة قرآنية، وقضية مصيرية، ومن يقرأ سورة العصر -بتأمل وتدبر- يلحظ هذه المعاني، قال تعالى: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. فهذه السورة مع قصرها في مبناها، إلا أنها عظيمة في معناها، فقد لخصت معالم التربية القرآنية وعناصرها الأساسية: (الزمن - الإنسان - الحياة - الإيمان - القيم النبيلة)، كما ركزت على العلاقات بين هذه العناصر، وأثرها على نجاح الإنسان في الدنيا، وفلاحه في الآخرة (حوامدة، ٢٠٠٦م، ص ٤١).

ويمكن التمييز بين نوعين من التربية القرآنية لمواجهة التحديات الثقافية، والحد من الاستلاب الثقافي:

النوع الأول: التربية الروحية:

أحوج ما يحتاج إليه الشباب في هذا العصر، هو التركيز على التربية الروحية؛ لأن الإنسان مخلوق من جسم وروح، والثقافة العصرية في زماننا-والتي تأثر بها كثير من الشباب- قد أشبعت الشق الأول (الجسم) على حساب (الروح)؛ فهي ثقافة تعاني من طغيان المادة، وتسيّد قيم النفعية والبراجماتية، وانحسار المفاهيم الأخلاقية، واختلال موازين القيم الإنسانية، وشيوع الأنانية، والأثرة، والتنافس المحموم على المقتنيات، والاهتمام بالمظاهر والشكليات، وغير ذلك من الأخطار المادية والثقافية..

ومن واقعية المنهج القرآني في التربية: الإيفاء بمطالب الإنسان بشقيه الجسمي والروحي بتوازن يسمو بالإنسان إلى درجات الكمال والرقي الإنساني الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن الروح هي أشرف ما في الإنسان؛ لأنها نفخة من الله، لا بد

لها من تربية تستهدف تيسير السبيل أمامها لمعرفة الله تعالى، وتعويدها على مهام العبودية له سبحانه وتعالى، وإن إهمال تربية الروح، يعني إفساداً للإنسان كله: روحه وعقله وجسده وكيانه الاجتماعي (محمود، ١٩٩٥م، ص ٩٩-١٠١).

«والتربية الروحية تعني: ما يؤدي إلى تهذيب النفس وسمو الإنسان، والتحلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل» (عمر، ٢٠٠٠م، ص ١٦٥).

ومن أسس ومرتكزات التربية الروحية القرآنية، ما يأتي:

١ -التزكية:

ركز القرآن الكريم على مبدأ تزكية النفوس قبل العلم والحكمة؛ لأن التزكية هي مفتاح القلوب، التي هي محط منظار الله تعالى، لا سلطان لأحد عليها إلا الله ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، والقلب إذا انفتح بالتزكية، انفتح العقل للعلم والحجة والبرهان، ومن هنا تأتي أهمية الاهتمام بوسائل وأعمال وبرامج تزكي نفوس الشباب، تمهيدا لتحصينها بالعلوم النافعة، والثقافة الواقية من عاديات الاستلاب الثقافي.

ومن أبرز وسائل التزكية في القرآن الكريم:

أ. التربية بالعبادات:

حثّ القرآن الكريم على التزام شعائر الإسلام الظاهرة التي تعبر عن هوية هذه الأمة وتميزها في العبادات والمعاملات، وعلى رأسها الصلاة، وليست أي صلاة، بل الصلاة القيمة، التي تشدك إلى الله تعالى، وتطهر نفسيتك، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] (أبو عواضة، ٢٠١٨م، ص ٨٦).

وتحقيق هذا الأمر يبدأ من البيت، من خلال تحمل الأسرة مسئوليتها في التربية والأمر بالصلاة، كما أخبر القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ثم يأتي دور المسجد، في تعزيز صلة المسلم بربه بإقامة الصلوات مع المسلمين؛ لتجسيد مفهوم الانتماء للأمة الواحدة والمجتمع الواحد ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وهذا المسلك من أعظم مسالك التربية والتعليم في عصمة الشباب من الانحراف الفكري، والارتداد الثقافي الذي أصاب كثيراً من شباب اليوم (عبد العظيم، ٢٠٠١م، ص ١٠٢).

وتحبيب الشباب لممارسة شعائر الإسلام لن يكون نافعا مثمرا إلا بالرفق بهم، والتلطف في وسائل دعوتهم، وحسن التعامل معهم، وهذا هو منهج القرآن في الدعوة والبيان، قال

تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه المنهجية: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (مسلم، د.ت، ج ٤، ص ٢٠٠٤، حديث رقم: ٢٥٩٤).

ولأهمية هذا المنهج كان الأمر لموسى وهارون-عليهما السلام- بالتلطف في الدعوة لفرعون الشقي، ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤]، وما استقام أمر الإسلام إلا بهذا المنهج الحكيم، وما استجاب له الناس إلا بالخلق العظيم الذي تحلى به سيد المرسلين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان بحق رسول الرحمة، وجوهر دينه، هي الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ب- التعود على البذل والعطاء:

بعد أداء الواجبات من النفقات المالية كالزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، يكون تزكية النفس بالبذل والعطاء في وجوه الخير من باب التطوع والإحسان الذي يصل فيه المسلم إلى أعلى درجات الإيمان، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨].

والعطاء يبسط النفس ويجعلها واسعة رحبة، بخلاف النفس الشحيحة يجعلها ضيقة قلقة، ومن هنا نفهم -والله أعلم- حكمة المقابلة بين (التزكية)، وبين (التدسية) في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

والسؤال المطروح: ما وجه المقابلة هنا بين التزكية التي هي بمعنى النماء، والزيادة والوسع، وبين التدسية، وهي بمعنى الدس والتخبية والخفاء؟!

الجواب: لعل الله قد عبر عن الملزوم هو (التدسية) وأراد لازمه، وهو (التحقير والتصغير)، ضد الواسع، وبهذا فطريق المفلحين هو طريق بسط النفس بالخيرات والطيبات، وصاحب النفس المتدسية، صاحب نفس حقيرة صغيرة.

ج. غض البصر وحفظ الفروج:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وفي حديث النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن علي -كرم الله وجهه-: «لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن الأولى لك، والآخرة عليك» (الدارمي، ١٤٢١هـ/

٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٧٧٩، حديث رقم: ٢٧٥١).

وتربية الشباب على غض البصر من أحوج ما يحتاجون إليه في زماننا؛ نظراً لكثرة المغريات والفتن التي تموج كموج البحر في وسائل الإعلام المختلفة، التي تعرض الأفلام والصور للنساء العاريات، والمثيرة لشهوات الشباب، والتي لا يكاد أن يسلم منها أحد، ولا عاصم لها إلا بهذا الخلق القرآني الرفيع (غض البصر) الذي يقي الشباب من شرور النظر الحرام، وويلاته:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

ولذلك جاء الأمر في الآية بتقدم الأمر بغض البصر على الأمر بحفظ الفرج؛ لأن البصر بريد الزنا، ورائد الفجور، ولا يمكن أن توجد نفس زاكية مع عين لها فضول وذيول!

د. ذكر الله تعالى:

وهذه وسيلة من وسائل التزكية التي تضفي على القلوب السكينة والطمأنينة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وذكر الله تعالى من أفضل الطاعات، وأحسن القربات، فعن علي -رضي الله عنه- قال: «أثبت الأعمال ثلاثة: إنصافك الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال» (العجري، ٢٠٠٨م، ص ٦٠).

والشباب بحاجة ماسة في هذا الزمان إلى هذه الطمأنينة التي تزيل عنهم قلق الشهوات المستعرة في نفوسهم، وتخفف عنهم حدة الشبهات المثارة في عقولهم، وتزيل التعاسة المسيطرة على حياتهم، وتحررهم من أغلال الثقافات الأجنبية التي أعاقت تفكيرهم، وسلبتهم حريتهم من حيث أوهمتهم بالحرية!

هـ. تنمية شعور المراقبة لله تعالى:

عمل القرآن الكريم على تعزيز هذا الشعور في وجدان المسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]؛ لأن السلطان الحقيقي على أفعال الإنسان وسلوكه، هو سلطان داخلي من نفسه (مراقبة الله)، وهذه المراقبة هي أعلى مراتب الدين، التي جاء ذكرها في حديث جبريل المشهور حينما سأل النبي -صلى الله عليه وآله-: «... فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنّك تراهُ فإن لم تكن تراهُ فإنهُ يَرَاكَ» (أبو داود، ٢٠٠٩م، ج ٤، ص ٢٢٤، حديث رقم: ٤٦٩٥)، والمراقبة لله تعالى، نابعة من شعور المسلم بأن الله لا تخفى عليه خافية، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وتعزيز هذا الشعور (المراقبة لله) في نفوس الشباب، لا يكون –فقط– من خلال المواعظ والخطب والتوجيهات، وإنما من خلال استغلال المواقف العملية التربوية التي تخاطب هذا الشعور في ضمائر الشباب، وللباحث بعض التجارب العملية مع طلبة شباب في المدرسة، والجامعة، أثناء تأديتهم اختبارات بعض المقررات في نطاق تخصص الباحث، حيث كان يضع ثقته بهم أولاً، ثم يتفق معهم على أن يؤدوا هذه الاختبارات بعيداً عن أعين من البشر تراقبهم؛ فالله حسيبهم والرقيب عليهم، ولن يستطيع الواحد أن يحتال على الله، كما يحتال على غيره فيغش في الاختبار، والاختبار الحقيقي، هو في مراقبة الله في هذا الاختبار، وقد كان لهذا الأسلوب أبلغ الأثر في نفوس كثير من الطلبة، خاصة أولئك الذين زينت لهم أنفسهم خرق الاتفاق؛ بغية الدرجة، فكانوا بعد مدة يأتون بعد وخز من ضميرهم، يعترفون بخطئهم، ويطلبون الحذف من درجاتهم التي حصلوا عليها بداعي النفس الأمارة بالسوء، ولكن كان صوت ضميرهم أعلى منها، فانتصر عليها، ويا ليت قومي يخاطبون ضمائر الشباب قبل مخاطبة عقولهم، وأن يستفزوا نوازع الخير في نفوسهم، قبل أن يحاسبوهم على شرورهم، فالإنسان مهما ابتعد عن ربه، لا يزال لله سلطان في أعماقه، تحت ركام من زلاته وهفواته، والحكيم هو من يستنفر صوت الفطرة من تحت هذا الركام، وصدق الله القائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- القدوة الحسنة:

وهي المرتكز الثاني للتربية الروحية للشباب، ومن أهم المحاضن والمؤسسات التربوية التي تحتاج إلى القدوة الحسنة؛ حتى تعطي التربية ثمارها:

أ. **الأسرة:** وهي تمثل النواة الأولى للمجتمع والأمة، ودور الأسرة في مقام القدوة الحسنة للأبناء يتمثل بتجسيد الوالدين لقيم الإسلام في تعاملها مع بعضهما، ومع الأولاد والجيران والأقارب؛ ليشكلا قدوة حسنة للأولاد، فيحظى الأبناء بمحضن تربوي آمن يشكل حصنا منيعا من عاديات التغريب، فالأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وبصلاحها صلاح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، وفي الحديث: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه» (الفارسي، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٣٣٧-٣٣٨ ، حديث رقم: ١٢٩).

وقد أعلن القرآن الكريم عن أهم مصادر القدوة الحسنة في التربية للمسلمين عموما، وللمربين خصوصا، وهو إمام المرسلين، وقدوة العالمين، رسول الله الصادق الأمين، كما نص

على ذلك الذكر الحكيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

ب. المدرسة: وهي المحضن التربوي الثاني –بعد الأسرة– حيث يقضي المتعلم شطراً من حياته، يتعلم ما لم يكن يعرفه من قبل، ويصحح مفاهيمه الخاطئة في عقيدته، وعبادته، ويتلقى فيها الأخلاق الحسنة، وهذا يتوقف على المعلم القدوة، المتحلي بالفضائل الإسلامية، الذي يؤثر بلسان حاله، أكثر من لسان مقاله، ولهذا كان السابقون يوصون معلمي أولادهم بصلاح أنفسهم؛ ليقتدي بهم تلاميذهم، فهذا عتبة بن أبي سفيان يقول لمؤدب ولده (الجاحظ، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٧٣): «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسَن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت. علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيَملُّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه..».

وهنا تنبيه مهم: القدوة الإيجابية قد تكون خادعة، حيث تركز على الالتزام بالمظهر على حساب الجوهر، كالحجاب –مثلاً– والذي تلبسه بعض بنات المسلمين من باب العادة، لا العبادة، بدليل الموضات التي لا زالت تلاحق حجاب المرأة المسلمة، حتى خرج عن مقصد «الحشمة» إلى إثارة «الفتنة» (المحيمد، ٢٠٢١م، ص ٦٣).

ومن الوظائف المهمة المناطة بالمحاضن التربوية: تربية النشء على استشعار المسؤولية في صغرهم؛ حتى يتحملوها في شبابهم وكهولتهم، فيتربوا على الجدية والالتزام، والاهتمام بعظائم الأمور ومعاليها، يربأون بأنفسهم عن التفاهات وسفاسف الأمور التي ابتلي بها كثير من شباب المسلمين في مظاهر ملابسهم، وقصات شعورهم، والعدمية في حياتهم الخالية من أهداف نبيلة، وطموحات عالية.

النوع الثاني: التربية العقلية:

كما اهتم القرآن الكريم بالتربية الروحية، التي تحفظ الشباب من طغيان المادة على الروح، وتعمل على التوازن بين مطالب الروح والبدن، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، كذلك كان اهتمامه بالتربية العقلية؛ لأن العقل هو مناط التكليف في الإسلام، وقد حث القرآن الكريم على إعماله، وندد بإهماله، فكثيرا ما يختم الله الآيات بقوله (لقوم يعقلون، ويفقهون، ويتفكرون..)، وقد أعلن القرآن الكريم حربه –في غير هوادة– على التقليد الأعمى المعطل للعقول، تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

بل جعل القرآن الكريم من تعطيل العقول، مسلكا خطيرا، نهايته جهنم وبئس المصير

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وقد وضح القرآن الكريم منهج التفكير السليم؛ للوصول إلى الفكر الصحيح، والرأي السديد، من خلال:

أ. الابتعاد عن اتباع الظنون العائمة، ونبذ الخرافات القائمة، ولذلك عاب الله تفكير أهل الكتاب بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

وندد بتفكير عبدة الأوثان بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

ب. تحمّل مسئولية حفظ حواسنا من أن يخدعها باطل، أو يحرفها عن مسار الحق تقليد، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويؤخذ من النصوص القرآنية السابقة: فساد العقائد الناشئة عن الظن، وقبح الاستناد إلى الظن (عوض، ١٤٣٥هـ، ص ١٩٠).

ج. التثبت في الأمور، قبل إصدار الأحكام، وإطلاق التهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ولما كان العصر الذي نعيشه، ويعيشه شبابنا، قد كثرت فيه التحديات، وادلهمت فيه الخطوب والفتن، وتشابكت فيه العلاقات، وماجت فيه الأفكار والثقافات والعقائد كموج البحار، فاختلط الحابل بالنابل، وحار كثير من الشباب في تمييز الحق من الباطل، كانت الحاجة ملحة إلى **استلهام المنهج القرآني في التربية العقلية لمعالجة هذه التحديات الثقافية من خلال:**

١- **احترام عقول الشباب**، ببنائها بناء سليما أولا، ثم بإفساح المجال لها للإبداع في خدمة الإنسانية ثانياً؛ فالعقل المسلم قادر على منافسة العقل الغربي في الإبداع والإنتاج والتطوير إذا توافرت له البيئة المشجعة، والحكومات المحفزة، عندها سيقف شامخا ثابتاً أمام رياح الاستلاب الثقافي.

٢- **إكساب الشباب القدرة على النقد الذاتي للأفكار والثقافات**، فيعرف ما يأخذ منها، وما يترك بوازع من دينه، وسلطان حاضر من ضميره، وهذا منهج نبوي في التربية، ففي الحديث: أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– قَالَ لِوَابِصَةَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ، وَقَالَ: اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، اسْتَفْتِ

قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ -ثَلاثًا- البِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» (الدارمي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٦٤٩، حديث رقم: ٢٥٧٥).

ومن أبرز وسائل تكوين هذه الملكة النقدية للشباب: تدريبهم على مهارات التفكير من خلال المناهج التعليمية، والبرامج التدريبية، والقرآن الكريم غاص بالآيات القرآنية التي تحث على التفكير في مجالات متعددة: التفكير في الأنفس من خلال التبصر ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، والتفكير في الكون من خلال التأمل والتفكر ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، والتفكير في القرآن الكريم من خلال التدبر ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

المحور الثاني: العلم والتعليم:

كانت كلمة القرآن الأولى (اقرأ)، بمثابة الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، وسورة (القلم) التي كانت من أوائل ما نزل بعد (اقرأ) تأكيد على هذه الحقيقة، فالعلم يبدأ بتعلم القراءة والكتابة، وقد قرن القرآن الكريم بين العلم والألوهية التي هي أساس توحيد الله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ..﴾ [محمد: ١٩]، فكان العلم بوابة الدخول للإسلام، وشرط وثيقة العبور إلى عقيدته وشريعته، فصار (العلم) المنافي للجهل، من شروط شهادة الدخول في الإسلام، والعلم -كما يقول الغزالي (٢٠٠٥م، ص ٧٧-٨٤)- نوعان: علم خاص بالدين، وسبيله الوحي الذي عرفناه عن الله بيقين، وعلم خاص بالدنيا، وسبيله البحث المادي، والجهد الإنساني. وعندما نقول إنه لا خلاف بين العلم والدين، فنحن نعني أن القرآن يستحيل أن يتضمن غلطا في حقيقة كونية وصل إليها العلم.

ويا أسفاه، كيف شرد المسلمون عن هذا المنهج القرآني في جمعه بين الدين بالوحي، وبين العلم بالجهد الإنساني وبذل الأسباب؟ وكيف شغلوا أنفسهم بما لا يرفع عند الله منزلة، ولا يدعم لهم بين الناس مكانة؟ على حين عكف غيرهم على دراسة الكون، وإدمان الفكر في ظاهره وباطنه، حتى وصل بآلاته إلى القمر، بينما الجماهير عندنا لا تزال آخذة بأذناب البقر...!

والتعليم في العالم العربي والإسلامي ليس هو مشكلة من المشكلات بل هو -كما يقول زكي نجيب محمود (١٩٩٠م، ص ٨٦)-: أم المشكلات جميعاً؛ لأنه في تخليص التعليم من أوجه نقصه يكون علاج سائر المشكلات.

وهذا يعني أن إصلاح التعليم وتطويره أصبح ضرورة عصرية؛ لدخول المنافسة العلمية في مضمار السباق الحضاري، وقد يظن للوهلة الأولى أن تطوير التعليم يكون بإضافة مقررات جديدة، وحذف مقررات قديمة، بل الأمر أعمق من ذلك بكثير، «إنه قبل ذلك وبعد ذلك، تغيير في الأسس التي نقيم عليها صروح التعليم، بحيث ننتقل بها من محورية "الكلمة"، إلى محورية "الفعل" والفعل بطبيعة الحال، يستلزم أن يكون مدار التعليم هو الشيء الذي ينصب عليه ذلك الفعل..» (محمود، ١٩٩٠م، ص ٧٦).

ومن ضروريات تطوير التعليم: توفير شروط التعليم الفاعل، من خلال: تجهيز البنى التحتية للتعليم، ومقوماته الأساسية، وتوفير الوسائل التعليمية الحديثة في المؤسسات التعليمية والجامعية، وتأهيل الكوادر التعليمية باستمرار، وتأمين هذه الجبهة بهذه المتطلبات، هو تأمين لجبهة الفكر من الاختراق، وللثقافة من الاستلاب.

المحور الثالث: الشعور بالعزة القرآنية، والكرامة الإنسانية:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، وتعزيز هذا الشعو مدخل قرآني عظيم؛ لمعالجة الانهزام النفسي، فقد ألهب القرآن الكريم مشاعر المؤمنين الموحدين، وأذكى فيهم روح العزة والكرامة، ونهاهم عن الذلة والمهانة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فتأمل كيف هيج القرآن إيمانهم في رفع معنوياتهم، والإعلاء من مكانتهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ولما كانت ساحات الوغى ولقاء الأعداء، مظنة الانكسار، والذي قد يفوت الانتصار؛ نتيجة تحطم المعنويات، والخوف من بأس الأعداء، أو تفوقهم في عددهم وعدتهم، كان القرآن الكريم حاضراً معهم في تثبيت عزائمهم، وتقوية إرادتهم، ورفع معنوياتهم ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

ونظرا لتبعات الانهزام النفسي الخطيرة في حياة المسلم، وآثارها المدمرة على المجتمعات، اتخذ القرآن موقفاً حازما وحاسما من جميع مظاهر الانهزام النفسي، فجرّم اليأس، وجعله من صفات الكافرين ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وقطع الطريق عن القنوط حتى لا يتسلل إلى قلوب المسرفين من عباده، فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وتأمل

ضمير الفصل (هو) في قوله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ولم يقل: (إنه الغفور الرحيم)؛ وذلك لتأكيد رحمة الله تعالى في مغفرة جميع الذنوب التي قد تكون سبباً لليأس والقنوط من رحمة الله، وقد خاب وخسر من فاتته هذه المكرمة الإلهية ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. فسبحانك ربي ما أرحمك!

ينبغي في معالجة الهزيمة النفسية لدى الشباب، العمل الجاد على نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة، وتعزيز ثقة الشباب بهذه الثقافة؛ لأن «الثقافة -في حقيقتها- هي الصورة الحية للأمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار... فإذا اهتزت هذه الصورة، أو اضطربت ملامحها، أو طمسها الركام المتكاثف فوقها، لم يكن للأمة -بسبب ذلك- شخصية تميزها، أو سمات تنفرد بها، بل تصبح تبعا لغيرها، حتى تنتهي إلى الاضمحلال، وتؤول إلى الزوال، وتلك هي الكارثة التي تخشى كل أمة حية أن تحل بها، فتمحق وجودها، وتطمس حياتها» (الخطيب، ١٩٧٩م، ص ١٣).

وإذا أردنا لهذه الثقافة الإسلامية أن تكون لها الأثر الفاعل في حياة الشباب، تجنبهم ويلات الاستلاب، فينبغي ان نراعي الآتي:

أ. **تأسيس ثقافة إسلامية أصيلة**، بأسلوب عصري يؤثر في نفوس الشباب، تلبي طموحاتهم، وتستوعب حلولا ناجعة لمشاكلهم.

ب. **الإفادة من تراثنا الماضي** في بناء الثقافة الإسلامية بالقدر الذي يحتاجه الشباب في الحاضر، مع بقاء أبصارنا مشدودة إلى المستقبل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ج. **انفتاح الثقافة الإسلامية على الثقافات الأخرى بحذر**، للاقتباس النافع منها، من منطلق (الحكمة ضالة المؤمن)، وفي هذا الانفتاح المنضبط تجسيد لعالمية الرسالة المحمدية الموجهة للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن التجارب الإنسانية التي يمكن الإفادة منها في الحد من ظاهرة الاستلاب الثقافي تجربة أيسلندا: بلد الحريات، التي أصدرت قرار حظر التجوال في البلاد من بعد الساعة العاشرة مساء على الشعب تحت سن (١٨) سنة، ضمن برنامج (تأهيل الشباب والقضاء على الإدمان والمخدرات)، والعجيب أن الكثير من المواطنين

الكبار، قد بادروا إلى النزول إلى الشوارع؛ لتطبيق القرار، ومنع تواجد المراهقين من الشباب تحت سن (١٨) سنة، وقد نجحت هذه التجربة (تأهيل الشباب) بعد اتخاذ خطوات عملية: الاعتراف بالمشكلة – فهم مشكلة الشباب – شغل أوقات فراغ الشباب – تضمين برامج عملية في الأسرة والمدرسة (الشقيري، ٢٠٢٣م).

وهذا الانفتاح المنضبط يجعلنا أمام أصعب معادلة في حياتنا الحضارية، وهي: «التوفيق بين أصالة حضارية نحافظ بها على جذورنا، ومعاصرة تقبل بها حضارة العصر بكل ما يميزه، وليس أسهل عند بعضنا من القول: نأخذ من حضارة العصر ما يصلح لنا، ومن حضاراتنا الأصلية ما يمكن أن يحيا في ظروف العالم الراهنة، نعم هو قول سهل، حتى إذا ما بدأت تدخل في تفصيلات ما تأخذه وما تتركه، وجدت الأمر عسيرا كل العسر» (محمود ١٩٨٣م، ص ١١٢).

إن التجاهل، أو التساهل في الأمور السابقة، يجعلنا أتعس من (دون كيخوته)، وهو يحارب طواحين الهواء!

الخاتمة:

أولاً- النتائج:

١- مع شيوع مصطلح (الاستلاب) مقترناً بمصطلح (الاغتراب) في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي في الفكر الغربي، إلا أن استخدامهما جاء متأخراً في الفكر العربي، حيث ظهر استعمالهما في خمسينيات القرن العشرين في إطار العلاقة بين العرب والغرب؛ حيث عده بعض الباحثين من أبرز وسائل الاختراق الثقافي لعقول الشباب، وانقيادها نحو الثقافات الدخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية، ومصطلح (الاستلاب) أولى في الاستخدام من مصطلح (الاغتراب)؛ لعموم مصطلح (الاستلاب)، واشتماله على معانٍ لا توجد في مصطلح (الاغتراب).

٢- تعددت مفاهيم الاستلاب نتيجة تنوع دلالاته اللغوية، وكثرة استخداماته المعرفية في الحقول المختلفة.

٣- شباب المجتمعات العربية والإسلامية المتخلفة، الأكثر عرضة للاستلاب الثقافي؛ لانبهارهم ببريق حضارة المجتمعات الغربية المتقدمة، وما نتج عنه من تقليد غير واعٍ لثقافاتها في أدق تفاصيل الحياة.

٤- من أبرز مظاهر الاستلاب الثقافي لدى الشباب: الهزيمة النفسية، وشيوع كثير من الأنماط السلوكية المخالفة للقيم الإسلامية الأصيلة، وشيوع التفاهة في الحياة عامة، وعلى منصات التواصل الاجتماعي خاصة.

٥- ساهمت مجموعة من العوامل والأسباب في تفشي ظاهرة الاستلاب الثقافي لدى الشباب، صنفها البحث إلى: عوامل وأسباب داخلية،

وخارجية، فمن أهم الأسباب الداخلية: وسائل الإعلام المختلفة، وتقصير المؤسسات الرسمية، وتفشي الجهل والأمية الدينية، والظلم الاجتماعي، والانحراف الفكري الإسلامي، والتدين المغشوش، وأما العوامل والأسباب الخارجية، فمن أبرزها: العولمة، والتفوق العلمي والحضاري الغربي، والاعتماد على المصادر الثقافية الاستشراقية، وعملية التغريب التي اجتاحت العالم العربي والإسلامي.

٦- ترك الاستلاب الثقافي مجموعة من التداعيات والآثار الخطيرة على الشباب خاصة، والمجتمعات العربية والإسلامية عامة، فمن آثار الاستلاب الثقافي على الشباب: الأزمات الشبابية: (روحيا، وفكريا، وسياسيا..)، والحياة العدمية، والعجز عن تحمل المسئولية، وفقدان الهوية الإسلامية، والإلحاد، وانتشار الأمراض النفسية وارتفاع معدلات الانتحار، وأما آثار الاستلاب الثقافي على المجتمع، فمنها: تفكك البنى الاجتماعية، واختلال مبدأ الانتماء للمجتمع الإسلامي، واختزال مفهوم الثقافة في الوعي الجمعي بطغيان ثقافة الاستهلاك، واختلال موازين القيم المجتمعية.

٧- قدّم البحث رؤية قرآنية لمعالجة التحديات الثقافية، مكونة من ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: التربية القرآنية للشباب، على المستوى الروحي، من خلال: التزكية، والقدوة الحسنة، وعلى المستوى العقلي، من خلال: الابتعاد عن الظنون العائمة، ونبذ الخرافات القائمة، وتحمل مسئولية حفظ الحواس، والتثبت في الأمور، مع التأكيد على: احترام عقول الشباب، وإكسابهم القدرة على النقد الذاتي للأفكار والثقافات.

المحور الثاني: العلم والتعليم، والارتقاء بالعملية التعليمية، وفق أسس حديثة وعصرية، من خلال: تجهيز البنى التحتية، وتوفير المقومات الأساسية، والتأهيل المستمر للكوادر التعليمية.

المحور الثالث: تعزيز الشعور بالعزة القرآنية، والكرامة الإنسانية، لتأمين الجبهة النفسية للشباب، حتى لا يتسلل إليها اليأس والقنوط، وضرورة تأسيس ثقافة إسلامية صحيحة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، مع الاستفادة من التجارب الإنسانية في الحد من ظاهرة الاستلاب الثقافي.

ثانياً- التوصيات:

١- تعزيز ثقافة الانتماء للهوية الإسلامية، والاعتزاز بثقافتنا الإسلامية الأصيلة في مناهج التعليم، ووسائل الإعلام المختلفة.

٢- إشاعة مفهوم (المواطنة الذكية)، من خلال استخدام التكنولوجيا الحديثة عموما، ووسائل التواصل الاجتماعي خصوصا بشكل إيجابي فاعل، يعصم الشباب من غوائل الاستلاب الثقافي.

٣- تفعيل دور المؤسسات الدينية، والتربوية، والتعليمية، والإعلامية بتبني البرامج الثقافية، والمناشط التربوية التي تشغل وقت الشباب بكل نافع ومفيد، بدون منافرة أو مناكدة بين تلك المؤسسات.

٤- الابتعاد عن النزعة الفردية والارتجالية في وضع الخطط والبرامج الثقافية الشبابية، وإيثار العمل التعاوني المنسق بين المؤسسات التربوية والإعلامية والسياسية والمجتمعية، والمدنية؛ لوضع الأطر الفكرية المشتركة، والمقاصد الثقافية العامة، التي تستوعب تحديات الشباب وسبل معالجتها.

٥- تضمين مناهج التعليم العام والجامعي مقررات تعالج موضوع (مهارات التفكير) بمقرر واحد على الأقل في كل مرحلة تعليمية؛ تكسب الطالب مهارات: التمحيص والاختيار والنقد، التي يحتاج إليها في عالم الثقافة والفكر.

ثالثاً- المقترحات:

١- تخصيص دراسات علمية مستقبلية عن الشباب: طموحاتهم، وأحلامهم، وآمالهم، والأخطار المستقبلية التي ستواجههم في ظل التغير المتسارع، والتقدم العلمي الهائل الذي يتجه نحو تعميم الذكاء الاصطناعي وتحكمه في حياة البشرية، والتنبؤ بآثاره السلبية على الشباب، وتقديم الرؤى النظرية والعملية لتلافي تلك الآثار قبل الاصطدام بها، أو الصدمة منها، فإذا كانت لنا القدرة على التنبؤ بالمستقبل وفق أساليب علمية، قلّتْ معها مخاوفنا وأوهامنا من مشاكله على الشباب خاصة، والناس عامة، ولا شك أن المستقبل (المدروس)، لن يكون كالمستقبل (المجهول) الذي يثير المخاوف، ويبعث على القلق!

٢- إقامة مؤتمرات دولية، تُعنى بالدارسات القرآنية التي تعالج التحديات المعاصرة، وتستوعب المتغيرات الحاصلة، وتحل المشكلات المتجددة، لتجسيد قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي. **(٢٠٠٤م)**. مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه وعلّق عليه: عبدالله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب، دمشق.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. **(٢٠٠٢م)**. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون. اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. **(١٤١٤هـ)**. لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت–لبنان.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي. **(٢٠٠٩م)**. سنن أبي داود، ط٢، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، بيروت–لبنان.

أبو عوّاضة، يحيى قاسم. **(١٤٤٠هـ–٢٠١٨م)**. الحرب الناعمة: الأخطار والمعالجات، ط٢، دائرة الثقافة القرآنية.

أبو يحيى، محمد؛ وآخرون. **(١٤٢١هـ–٢٠٠١م)**. الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم المعاصر وتحديات العصر، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

بكار، عبد الكريم. **(١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م)**. تجديد الوعي. ط١، دار القلم، دمشق.

تدبر:

- **(٢٠١١م)**. ليدبروا آياته، المجموعة الثانية، ط١، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **(٢٠١٢م)**. ليدبروا آياته، المجموعة الأولى، ط٣، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

تقرير الأمم المتحدة. **(٢٠٢٣م)**. قضايا عالمية – الشباب، متاح على الرابط: https://www.un.org/ar/global-issues/youth، تاريخ الاطلاع: ١٦/٥/ ٢٠٢٣م.

تقرير التنمية الإنسانية العربية. **(٢٠٠٣م)**. نحو إقامة مجتمع المعرفة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، المكتب الإقليمي للدول العربية، عمان–الأردن.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. **(١٤١٨هـ–١٩٩٨م)**. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، الناشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

جلال، شوقي. **(٢٠٠٠م)**. العقل الأمريكي يفكر، الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر.

جمال، أحمد محمد. **(١٣٩٩هـ–١٩٧٩م)**. الشباب دراسات ولقاءات. مطابع الروضة، نشر المكتبة الصغيرة، جدة.

الجندي، أنور:

- **(١٩٨١م)**. دراسات إسلامية معاصرة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.
- **(١٩٩٤م)**. أحاديث إلى الشباب المسلم، ط١، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- **(١٩٧٩م)**. أخطاء الفلسفة المادية. دار الاعتصام، القاهرة.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. **(١٩٩٠م)**. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

حجازي، أحمد مجدي. **(١٩٩٩م)**. العولمة وتهميش الثقافة الوطنية: رؤية نقدية من العالم الثالث، مجلة

عالم الفكر، العدد (٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

حجازي، أحمد مجدي وآخرون. **(٢٠٠٨م)**. نحو منظومة القيم الإيجابية الداعمة لرؤية مصر ٢٠٣٠م، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مركز الدراسات المستقبلية، القاهرة.

الحديثي، مؤيد عبد الجبار. **(٢٠٠٢م)**. العولمة الإعلامية. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

حرب، علي. **(١٩٩٧م)**. الاستلاب والارتداد: الإسلام بين روجيه غارودي ونصر حامد أبو زيد، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الحسناوي، جواد كاظم. **(٢٠١٦م)**. هجرة الكفاءات العربية للمدة (١٩٧٠ – ٢٠١٠)، مجلة أبحاث ميسان، المجلد الثاني عشر، العدد (٢٤)، جامعة ميسان، العراق.

حكيم، محمد طاهر. **(٢٠١٣م)**. الشباب والهوية الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية – مجمع البحوث الإسلامية، باكستان، المجلد ٤٨، العدد (٢).

حنفي، حسن. **(٢٠١٢م)**. الهوية والاغتراب في الوعي العربي، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلد الأول، العدد (١)، ص ص ٩–١٨.

حوامدة، مصطفى محمود. **(٢٠٠٦م)**. منهج القرآن في تربية الإنسان: رؤية منظومية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد (٣)، العدد (٣)، أكتوبر. ص ص: ٣٥–٧٩.

الخضري، أنور قاسم. **(١٤٣٦هـ–٢٠١٥م)**. ظاهرة «التدين الجديد» وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا، ط٢، الرياض: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

الخطيب، عمر عودة. **(١٩٧٩م)**. لمحات في الثقافة الإسلامية، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. **(١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م)**. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع.

الديلمي، أبو محمد أحمد بن لطف. **(١٤٤١هـ–٢٠٢٠م)**. رسالة في لا إله إلا الله، ط١، د.ن.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. **(١٩٨٥م)**. العبر في خبر من غبر، ويليه ذيول العبر للذهبي والحسيني، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

الرواشدة، علاء زهير عبد الجواد؛ و**العرب**، أسماء ربحي خليل. **(٢٠٠٩م)**. أسباب ومظاهر الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية – بور سعيد، العدد (٦)، يونيو، ص ص: ٥٦–٨٩.

الرومي، فهد. **(١٤١٢هـ)**. منهج المدرسة العقلية في التفسير، ط٥، الرياض: مكتبة الرشد.

زايد، أحمد عبد الله. **(٢٠٠٩م)**. الأطر الثقافية الحاكمة لسلوك المصريين واختياراتهم، دراسة لقيم النزاهة والشفافية والفساد. وزارة التنمية الإدارية، لجنة الشفافية والنزاهة، القاهرة – مصر.

الزنيدي، عبد الرحمن زيد. **(٢٠٠٠م)**. العولمة الغربية والصحوة الإسلامية (الموقف الرشيد)، ط١، الرياض: دار أشبيليا للنشر والتوزيع.

سعادنة، جمال. **(٢٠١٦م)**. العولمة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب

الهوية، مجلة الأثر، جامعة باتنة، المجلد (١٥)، العدد (٢٤)، الجزائر.

سعيد، إسماعيل علي. **(١٩٩٥م)**. فلسفات تربوية، عالم المعرفة، الكويت.

سفيان، ساسي. **(٢٠١٨م)**. التنشئة الاجتماعية وتمظهرات الاستلاب الثقافي في المجتمع الجزائري، مجلة التكامل، العدد (٣)، مخبر تحليل العمل والدراسات الأرغونومية، جامعة عنابة – الجزائر.

شاهين، عبد الصبور. **(د. ت)**. نحن والعولمة: من يُربّي الآخر، مقال في كتاب المعرفة، الرياض: وزارة المعارف.

شاويش، محمد محمد. **(٢٠٠٧م)**. نحو ثقافة تأصيلية، دار نينوى، دمشق– سوريا.

شرابي، هشام. **(١٩٩١م)**. مقدمات لدراسة المجتمع العربي. دار الطليعة، دمشق.

الشعراوي، محمد متولي. **(١٩٩١م)**. تفسير الشعراوي، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة– مصر.

الشقيري، أحمد. **(٢٠٢٣م)**. الشباب ثروة، برنامج (سين الرمضاني)، الحلقة ١٢، رمضان ١٤٤٤هـ.

صقر، محمد إبراهيم الشربيني. **(٢٠١٤م)**. الغزو الثقافي والهزيمة النفسية، مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر (الثقافة الإسلامية– الأصالة والمعاصرة)، رابطة العالم الإسلامي، في الفترة: ٤–٦ ذو الحجة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٨–٣٠ سبتمبر ٢٠١٤م.

صوفي، عبد القادر بن محمد عطا. **(٢٠٠٦م)**. آثار العولمة على عقيدة الشباب، سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي، السنة الثالثة والعشرون، العدد (٢١٥).

الضبع، ماهر. **(٢٠٠٦م)**. العولمة وقضايا الهوية الثقافية، الكتاب الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب. **(١٩٨٣م)**. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان.

عبد الجبار، فالح. **(٢٠١٨م)**. الاستلاب: هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس. ط١، دار الفارابي، بيروت – لبنان.

عبد العظيم، سعيد. **(٢٠٠١م)**. الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر.

العجري، علي بن محمد. **(١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م)**. رضاء الرحمن في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ط٢، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء – الجمهورية اليمنية.

عزمي، هشام. **(٢٠١٥م)**. الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، ط٢، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الإسماعيلية – مصر.

عطاوة، سليم؛ **ويحياوي**، عامر. **(٢٠١٦م)**. مفهوم الاستلاب الثقافي، وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري – مقاربة تربوية –، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية العدد (١)، جامعة الجلفة، الجزائر.

عكلو، جميل. **(٢٠١٦م)**. الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق.

عمر، أحمد عمر. **(٢٠٠٠م)**. فلسفة التربية في القرآن الكريم، ط١، دار المكتبي، دمشق.

عــوض، إبــراهيم. **(١٩٩٨م)**. دائــرة المعــارف الإسلامية: أضاليل وأكاذيب، ط١، القاهرة: مكتبة البلد الأمين.

عوض، شريف محمد. **(٢٠١٣م)**. صناعة الثقافة في عصر العولمة وأثرها في تغيير ملامــح الهويــة الثقافية، مجلة هرمس، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، المجلــد الثــاني، العدد (١)، يناير ٢٠١٣م، القاهرة.

عوض، محمد عبد الله. **(١٤٣٥هـ)**. الفقه القرآنــي. ط١، مكتبة أهل البيت، صعدة، اليمن.

الغزالي، محمــد. **(٢٠٠٥م)**. الإســلام والطاقــات المعطلة. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفارســي، علاء الدين علي بن بلبان. **(١٤١٤هـ-١٩٩٣م)**. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. حققه وخرج أحاديثــه وعلــق عليــه: شــعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

فروم، إيريك. **(٢٠٠٣م)**. الإنسان المستلب، وآفــاق تحرره، ترجمة وتعليق: حميد لشهب، تقديم: راينر فونك، الرباط: فيديرانت للنشر والتوزيع.

قادرة، بشير. **(٢٠١٨م)**. الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة: الآثار والعلاج – دراسة تحليلية، مجلة البحوث والدراسات، المجلــد (١٥)، العــدد (٢)، يوليو/ تموز، جامعة الشهيد حمة لخضــر-الوادي، الجزائر. ص ص: ٣٤٩ – ٣٧٠.

المجمــع اللغــوي بالقــاهرة. **(١٩٨٣م)**. المعجــم الفلسفي، ط١، الهيئــة العامــة لشــئون المطــابع الأميرية، القاهرة.

محجوب، عباس. **(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)**. مشــكلات الشباب: الحلول المطروحة والحــل الإســلامي، ط٢، سلسلة كتاب الأمة رقم (١١)، الصادر عــن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينيــة بدولــة قطر، ربيع الأول، ١٤٠٦ه.

محمــد، زغو. **(٢٠١٠م)**. أثر العولمة على الهويــة الثقافية للأفــراد والشــعوب، مجلــة الأكاديميــة للدراسات الاجتماعية الإنسانية، الجزائــر، العــدد (٤)، ص ص: ٩٣-١٠١.

محمد، مديحة فخري محمود. **(٢٠١٩م)**. الاســتلاب الفكري والثقافي في العالم العربي "رؤية تربوية"، مجلة كلية التربية، جامعة المنوفيــة، العــدد (٤)، ص ص: ٢٤٥-301.

محمود، زكي نجيب:

- **(١٩٨٣م)**. مجتمع جديد أو الكارثة. ط٣، دار الشروق، القاهرة.
- **(١٩٩٠م)**. بذور وجذور، ط١، دار الشروق، القاهرة.

محمود، علــي عبــد الحلــيم. **(١٩٩٥م)**. التربيــة الروحية. ط١، دار التوزيع والنشــر الإســلامية، القاهرة.

المحيمد، عبد اللطيــف عمــر. **(٢٠٢١م)**. رحلــة الدجال الناعمة: قصة التفاهة من السوفسطائية إلى ما بعد الحداثة، ط١، دار فارس لبعــث التــراث وتأصيل الفكر – مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت.

مسلم، أبو الحسين بن الحجــاج القشــيري. (د.ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العــدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله-، تحقيــق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، بيروت: دار إحيــاء التراث العربي.

المناوي، محمد عبد الــرؤوف. **(٢٠٠١م)**. فــيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبــد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

مورو، محمد. **(٢٠٠١م)**. الإسلام وأمريكا: حوار أم مواجهة تحليل لكتاب "الفرصة السانحة" لريتشارد

نيكسون، الدبس للنشر – الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة.

موقع BBC عربي. **(٢٠٢١م)**. الانتحار: السبب الرابع للوفاة بين اليافعين ومصر الأولى عربيا، ٢١ ديسمبر، على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/59568886

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. **(١٩٩٤م)**. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير – الاستشراق – الاستعمار: دراسة وتحليل، ط٧، دار القلم، دمشق–سوريا.

الهتار، فهد عبد القادر عبدالله. **(٢٠٢٢م)**. أنسنة التراث وأثرها على الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الدليل، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، السنة الخامسة، العدد (٢)، النجف – العراق. ص ص: ٤٨–٧٤.

هويدا، فريدون. **(٢٠٠٨م)**. الإسلام معطلا: العالم الإسلامي ومعضلة الفوات التاريخي، ترجمة: حسين قبيسي، مراجعة: مروان الداية، ط١، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع.

وطفة، علي أسعد. **(٢٠١٩م)**. التربية في مواجهة الدور الاستلابي للصورة، بحث منشور في موقع مجلة نقد وتنوير الإلكتروني، على الرابط: https://tanwair.com/archives/5168.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. دائرة المعارف الإسلامية. متاح على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki.

اليوسف، عبد الله أحمد. **(٢٠١٠م)**. الشباب والثقافة المعاصرة: رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي، ط١، بدون دار نشر، نسخة إلكترونية (pdf)، منشورة في بعض المواقع على الشبكة العالمية للمعلومات.

المراجع الأجنبية:

Giddens, A. (**1996**). The Consequences of Modernity, Cambridge, Polity Press.

Polk, K. (**1984**). The New Marginal Youth Crime and Delinquency, 30 (3), 462 - 480.